الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم (شعر)

لطلبة السنة الأولى ليسانس

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله... فهذه محاضرات أعددتها لطلبة السنة الأولى ليسانس في مقياس النص الأدبي القديم، وقد حرصت على اتباع البرنامج الذي يغطّي هذه المادة التي تقدم في سداسيين:

السداسي الأول: ويتناول دراسة الشعر العربي القديم.

السداسي الثانـي: ويتناول دراسة النثر العربي القديم.

وقد خصصت هذا الجزء الأول للشعر العربي القديم؛ أما الجزء الثاني فسيتناول – إن شاء الله– النثر العربي القديم.

وقد حوى هذا الجزء الأول أربع عشرة محاضرة، وهي:

1. الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا
2. المعلقات مضامينها وأساليبها
3. الصعاليك شعرهم وشعراؤهم
4. الشعر في صدر الإسلام
5. المراثي النبوية
6. شعر النقائض
7. الشعر العذري والشعر العمري

8.شعر الزهد والتصوف

9.شعر الحماسة

10. الشعر السياسي في المشرق والمغرب

11. الشعر الفلسفي وشعر الحكمة

12. الشعر الأندلسي

13. الموشحات والأزجال

14. نصوص من الشعر الجزائري القديم

وقد أعقبت كل محاضرة بمادة تطبيقية، يمكن للأساتذة استغلالها أثناء الحصص التطبيقية، وهذه المـادة تتمثل في نصوص مختارة، يمكن للأستاذ أن يقوم بدراستها وتقديمها لطلبته بنفسه، أو يكلف طلبته بدراستها وتقديمها أثناء تلك الحصص التطبيقية.

وقد استفدت في جمع مادة هذه المحاضرات من مصادر ومراجع كثيرة، منها كتب الأدب القديمة والحديثة، وكتب اللغة، ودواوين الشعر، وبعض المواقع الإلكترونية التي تنشر دراسات أدبية مختلفة.

وأتمنى أن أكون قد سهلت بهذا العمل لطلبتنا تحصيل المادة التي تعينهم على ولوج هذا الميدان الأدبي الهام، كما تيسر لهم المراجعة لامتحاناتهم... وأسأل الله العلي العظيم لهم التوفيق والسداد...

المحاضرة الأولى

الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

تمهيد:

يصعب على الباحث تتبع ولادة الشعر ونشأته الأولى، لأنه عندما وصل إلينا كان قد تجاوز مرحلة الطفولة، وصار مكتمل النشأة... وقد نشأ الشعر كغيره من الفنون الأخرى بدافع من حاجة الإنسان إليه، للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وهمومه، وسنحاول في هذه المحاضرة الكشف عن بدايات الشعر العربي القديم، وبيان المساحة الزمانية والمكانية التي استغرقها.

أولا-مفهوم الشعر:

1- **مفهوم الشعر في اللغة:** يقول ابن منظور في لسان العرب: "ليت شعري، أي ليت علمي، أو ليتني علمت، وليت شعري من ذلك، أي: ليتني شعرت"[1]، وفي القرآن الكريم: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأنعام، 109]، أي: وما يدريكم[2].

---

[1] – لسان العرب، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 409/4.

[2] – الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م، 64/7.

وقد عرفه الأزهري بقوله: "الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر، لأنه يشعر ما لا يشعر غيره، أي يعلم"[1].

فالشعر إذاً هو ضرب من ضروب الكلام المنغم الموزون، تتعاطاه طائفة متميزة من الناس، عرفوا بالشعراء.

2- الشعر اصطلاحا:

اختلف الأدباء والنقاد منذ القديم حول مفهوم الشعر وتعريفه؛ ومـن أقدم تلك التعاريف ما قاله قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر)، فقد عرفه بقوله: "كلامٌ موزونٌ ومقفىً يدلُّ على معنى"[2].

غير أننا حين ننظر إلى أبيات كثير من الكلام المنظوم الدال على المعنى، كقول ابن مالك في ألفيته:

كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كاستقمْ * واسمٌ وفعلٌ ثُمَّ حرفٌ الكلِمْ[3]

فهل يعتبر هذا شعرا؟

وإذا كان الشعر يُطربَ الأسماع، ويُثيرَ كوامن النفوس، ويهيّجَ المشاعر، فهل يتوفر ذلك في هذا البيت؟

---

[1] – لسان العرب، 410/4.

[2] – نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ، ص3.

[3] – شرح الأشمونى لألفية ابن مالك علي بن محمد بن عيسى، نور الدين الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م، 23/1.

الجواب: لا.

إذن فنحن أمام أمرين: إما أن يكون هذا البيت ليس من الشعر، أو أنَّ الشعر ليس هو الكلام الموزون المقفى الدالّ على المعنى.

والحقيقة أن الأدباء والنقاد ميّزوا بين الشعر والنظم؛ فالنظم: هو الكلام الموزون المقفى الدالّ على معنى، ويحوي الأراجيزَ التعليمية، كألفية ابن مالك وغيرها من الأراجيز العلمية والتأريخية والفقهية... إضافة إلى الشعر الملحمي والمسرحي والتعليمي[1].

أما الشعر، فهو ما طربَت له الأسماع، وحرك المشاعر، وجاشت له العواطف... فالعاطفة الجياشة، والشعور الطافح المتدفق في أبيات القصيدة هو ما يجعلها شعراً .

ولهذا يرى ابن رشيق أن الشاعر إنما سُمّيَ كذلك "لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره"[2].

ثانيا-أولية الشعر ونشأته:

المقصود بالأولية: البدايات الأولى التي تولد منها الشعر وتنامى إلى عصرنا الحاضر بهذا النضج الفني الذي نراه متمثلاً في أشعار أوائل شعراء عصر ما قبل الإسلام، الذي وصل إلينا تام الأوزان والقوافي باللغة العربية الفصيحة، كما

[1] – ينظر: في النقد الأدبي، علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، ص 173.

[2] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ، 1981م، 116/1.

في عدد من الدواوين المحققة، كديوان امرئ القيس، وعبيد بن الأبرص، وطرفة بن العبد، وعنتره، وزهير، وغيرهم.

والواقع أن بداية الشعر غير واضحة، لعدم دقة تحديد أول شعر قيل في العصر القديم، وإن كان بعض النقاد القدامى كالجاحظ وغيره قد جعلوا لعصر ما قبل الإسلام حدوداً زمنية، إلا أنها تبقى مجرد نظريات.

ثالثا-نظريات أولية الشعر:

هناك نظريتان تتحدثان عن أولية الشعر، أولاها قديمة والأخرى حديثة، وهما كما يلي:

1-النظرية القديمة:

لقد تعرض علماء العربية الأوائل لهذه القضية، ومنهم الأصمعي، وابن سلام، وابن قتيبة، والجاحظ، وابن رشيق، وغيرهم، وقد أدلوا بدلوهم في هذا الجانب، وبينوا أن هذا الشعر قد ابتدأ بالمهلهل في حرب البسوس[1]، ولم ينفوا وجود شعر قبله، وهم يؤمنون بأن اللغة العربية لغة ذات جذور ضاربة في أعماق الزمن.

ويؤكد ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء أن الشعر العربي بدأ رحلته في صورة مقطوعات قصيرة، أو أبيات قليلة، يرتجلها الشاعر في مناسبات طارئة، ليعبر بها عن انطباعات سريعة مؤقتة، ثم أخذ الشعراء بعد ذلك يطيلون في

[1] – طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 39/1.

مقطوعاتهم ويزيدون في عدد أبياتها، حتى تكاملت لهم القصيدة في صورتها المعروفة، والتي قيل في شأنها: إن المهلهل أول من قصد القصائد[1].

أما الجاحظ، فقد حدد بداية ظهور الشعر الجاهلي بقرن ونصف، أو بقرنين على أبعد تقدير، قبل ظهور الإسلام، حسب ما تفيد عبارته التالية: "أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس والمهلهل ابن ربيعه... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرتا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[2].

فالجاحظ هنا لم يحدد في الواقع بداية الشعر الجاهلي، وإنما حدد بداية ظهور القصيدة الجاهلية، عندما أكتمل نضجها، واستوفت كل عناصرها الفنية التي استحقت بفضلها أن تسمى قصيدة، وقديما قال عمر بن شبه، تلميذ ابن سلام الجمحي :"للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه"[3]، وهذا يعني أن هناك مرحلة سابقة للتاريخ الذي حرره الجاحظ، تعد بمثابة التكوين والنشأة بالنسبة للقصيدة الجاهلية، وهي التي أصطلح بعض النقاد على تسميتها بعصر الجاهلية الأولى.

---

[1] – الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، 288/1.

[2] – الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ، 53/1 .

[3] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1998م، 404/2.

2-النظرية الحديثة:

وهي تلك التي تبناها بعض المستشرقين، وسايرهم فيها بعض المعاصرين من العرب، وهي ترى أن الرجز يشكل الصورة الأولى التي بدأ بها الشعر العربي رحلته، ويرى بروكلمان أن الرجز الذي ارتبط في أيامه الأولى بالحداء[1]، قد تطور من السجع الذي يرونه أقدم القوالب الفنية التي عرفها العرب منذ عصورهم الأولى، أي أن السجع غير الموزون قد تطور إلى سجع موزون، ممثلاً في أبسط أوزان الشعر العربي وأقدمها، وهو (الرجز)، يقول منه الراجز البيتين أو الثلاثة إذا حارب أو فاخر، ثم صاروا تدريجياً يطيلون النظم فيه، ومن الرجز انفتح الطريق أمام أوزان أخرى من أوزان الشعر يضعونها حسب الاقتضاء، كل وزن منها يوافق نوعاً خاصاً من الشعر، وكان في أول الأمر ينظمون قطعاً قصيرة على أوزان البحور التي اهتدوا إليها بعد الرجز، ثم ظل الأمر كذلك، حتى تحركت نفوس العرب بالحروب، وظهر فيهم الأبطال والفرسان، فاحتاجوا إلى الشعر والإطالة، فنظموا، وربما كانت هذه النظرية – على الرغم من أن بعض

---

[1] – الحُداء: حُداء الْإِبِل، أي: الغناء للإبل، قال الراجز:

فغنِّها وَهِي لَك الفِداءُ * إنّ غِناءَ الْإِبِل الحُداءُ.

ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، 1047/2، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، 162/1.

الباحثين يرون أنها مجرد افتراض– هي التي نستطيع أن نرى فيها أساسا صالحا لحل مشكل تطور القصيدة[1].

لقد بدأ الشعر إذاً رجزا متطورا في أغلب الظن من السجع، وساعدت سهولة هذا البحر وقرب متناوله من الشعراء وطواعيته لتشكيلات موسيقية متعددة، ثم أخذت تتولد منها أوزان أخرى، وعلى هذه الأوزان بني الهواة الأولون تجاربهم التي انتهت بظهور البيت، والتي مهدت بدورها إلى ظهور المقطوعة، وظهور أوزان أخرى، ثم ظهرت بعد ذلك – خضوعا لسنة التطور الطبيعية – القصيدة الطويلة عند المهلهل ومعاصريه من شعراء حرب البسوس.

فعلى أساس هذا الفرض نستطيع أن نتصور أن الشعر العربي مر في بداية رحلته بثلاث مراحل:

1- مرحلة الرجز التي تمثل عصر ما قبل تاريخ الأدب

2- مرحلة المقطوعة التي تمثل بداية عصر تاريخ الأدب.

3- مرحلة القصيدة التي تمثل البداية الثانية لعصر تاريخ الأدب، وهي المرحلة التي ذهب الجاحظ إلى أنها هي البداية ، فرجع إلى قرن ونصف أو قرنين على أبعد تقدير .

[1] – ينظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، دار المعارف، مصر، ط5، دت، 51/1.

والحقيقة أن كل ما سبق ما هو إلا افترضات، فالوقوف على أولية الشعر العربي وتحديد زمانه وتقديم شواهد مادية على ذلك في ضوء ما لدينا من معلومات وإمكانات أمر عسير، إن لم يكن مستحيلاً.

4-التطور التاريخي للشعر العربي القديم:

يبدأ ظهور الشعر العربي في الفترة الزمنية المسماة بالعصر الجاهلي، والتي سبقت ظهور الإسلام، وهو شعر ذاتي يصور نفسية الفرد، وما يخالجه من عواطف وأحاسيس، سواء حين يتحمس الشاعر ويفتخر، أم حين يمدح ويهجو، أم حين يتغزل أم حين يرثى .... وأهم الشعراء الجاهلين: امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والأعشى وغيرهم...

ولما أشرق نور الإسلام، ونزل القرآن، انشغل العرب بالدين الجديد وبالفتوحات عن الشعر، إلا أن سوقه لم تكسد، فقد ظل الشعراء يقولون الشعر في الأغراض المختلفة، وخاصة في نصرة الدين، ومن أمثلة الشعراء في هذه الفترة : حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم[1] .

وجاء العصر الأموي، فحدث بعض التطور في المجتمع، وذلك بسبب الامتزاج بالأمم الأجنبية، والتأثر بحضارتها ثقافتها، وقد أدى ذلك إلى تطور مماثل في الشعر، ومن أهم شعراء هذه الفترة: الفرزدق، وجرير، وجميل بن معمر، والأخطل، وغيرهم.

[1] – ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط4، 1981م، 260/1.

أما في العصر العباسي، فقد أسهم التطور الفكري والثقافي في إمداد الشعراء بمعان جديدة، وتفتيق أذهانهم على صور وتشبيهات مُستقاة من الحوارات العلمية والثقافية، ومن أبرز شعراء هذا العصر: أبو تمام، والبحتري، والمتنبي، وأبو العلاء المعري، وغيرهم ...

وأما في العصر الأندلسي، فقد نظم الشعراء في الأغراض التقليدية، كالغزل والمجون والزهد والتصوف والمدح والهجاء والرثاء، وقد طوروا موضوع الرثاء فأوجدوا (رثاء المدن والممالك الزائلة) كما توسعوا في وصف البيئة الأندلسية، واستحدثوا فن الموشحات والأزجال[1].

ومن أبرز الشعراء في هذا العصر ابن زيدون، وابن دراج القسطلي، وابن عبد ربه، وابن هانئ، وغيرهم ...

وهكذا، فإن الشعر العربي القديم امتد على رقعة مكانية كبيرة، امتدت من جزيرة العرب شرقا، إلى المغرب والأندلس غربا، وعلى مساحة زمنية واسعة، امتدت من قبل ظهور الإسلام إلى ما يزيد عن القرن العاشر الهجري.

[1] – ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، المعروف بابن الأثير، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ص242.

للتطبيق:

نموذج من الشعر الجاهلي: قال طرفة بن العبد:

إِذَا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وجَدْتَنِــي*مَنِيْعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمَهِ يَـــــدِي[1]

وَبَرْكٍ هُجُوْدٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي * بَوَادِيَهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَــرَّدِ[2]

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَــةٌ * عَقِيْلَةَ شَيْخٍ كَالوَبِيْـــلِ يَلَنْــدَدِ[3]

يَقُوْلُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيْفُ وَسَاقُهَـا * أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْــتَ بِمُؤْبِدِ[4]

---

[1] – ابتدر القوم السلاح: استبقوه، المنيع: الذي لايقهر، بل بالشيء يبل به بلا إذا ظفر به. يقول: إذا استبق القوم أسلحتهم وجدتني منيعا لا أقهر، إذا ظفرت يدي بقائم هذا السيف.

[2] – البرك: الإبل الكثيرة الباركة، الهجود: جمع هاجد وهو النائم، بواديها: أوائلها وسوابقها يقول: ورب إبل كثيرة باركة قد أثارتها عن مباركها مخافتها إياي في حال مشيي مع سيف قاطع مسلول من غمده، يريد أنه أراد أن ينحر بعيرا منها فنفرت منه لتعودها ذلك منه.

[3] – الكهاة والجلالة: الناقة الضخمة السمينة. الخيف: جلد الضرع، وجمعه أخياف، العقيلة: كريمة المال والنساء، الوبيل: العصا الضخمة، اليلندد والألندد والألد: الشديد الخصومة. يقول: فمرت بي في حال إثارة مخافتي إياها ناقة ضخمة، وهي كريمة مال شيخ قد يبس جلده ونحل جسمه من الكبر، حتى صار كالعصا الضخمة يبسا ونحولا، وهو شديد الخصومة، قيل: أراد به أباه، يريد أنه نحر كرائم مال أبيه لندمائه، قيل: بل أراد غيره.

[4] – تر: أي سقط، والوظيف، في اليد من الرسغ إلى الركبة، وفي الرجل، من الرسغ إلى العرقوب. المؤبد: الداهية العظيمة الشديدة، يقول: قال هذا الشيخ في حال عقري هذه الناقة الكريمة، وسقوط وظيفها وساقها عند ضربي إياها بالسيف: ألم تر أنك أتيت بداهية شديدة بعقرك مثل هذه الناقة الكريمة النجيبة.

وقَالَ أَلا مَاذَا تَرَونَ بِشَـــارِبٍ * شَدِيْدٌ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّـــــدِ[1]
وقَالَ ذَروهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَـــــهُ * وإِلاَّ تَكُفُّوا قَاصِيَ البَرْكِ يَـــــزْدَدِ[2]

فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَـــا * ويُسْعى عَلَيْنَا بِالسَّدِيْفِ المُسَرْهَـــدِ[3]
فَإِنْ مُتُّ فَانْعِيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُـــهُ * وشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَـــدِ[4]

ولا تَجْعَلِيْنِي كَأَمْرِىءٍ لَيْسَ هَمُّـــــهُ * كَهَمِّي ولا يُغْنِي غَنَائِي ومَشْهَـدِي[5]

بَطِيءٍ عَنْ الجُلَّى سَرِيْعٍ إِلَى الخَنَـى * ذَلُولٍ بِأَجْمَاعِ الرِّجَـــــالِ مُلَهَّـدِ[6]

---

[1] – يقول: قال هذا الشيخ للحاضرين: أي شيء ترون أن يفعل لشارب خمر اشتد بغيه علينا عن تعمد وقصد؟ يريد أنه استشار أصحابه في شأني وقال: ماذا نحتال في دفع هذا الذي يشرب الخمر ويعقر كرائم أموالنا ونحرها متعمدا قاصدا؟ والباء في قوله بشارب صلة محذوف تقديره أن يفعل ونحوه.

[2] – ذروه: دعوه، الكف: المنع والامتناع، يقول: ثم استقر رأي الشيخ على أن قال دعوا طرفة: إنما نفْعُ هذه الناقة له. أو أراد هذه الأبل له، لأنه ولدي الذي يرثني، وإلا تردوا وتمنعوا ما بعد هذه الأبل يزدد طرفة من عقرها ونحرها، أراد أنه أمرهم برد ما ندّ، لئلا أعقر غير ما عقرت.

[3] – الإماء: جمع أمة، الامتلال والملل: جعل الشيء في الملة، وهي الجمر والرماد الحار، الحوار للناقة بمنزلة الولد للانسان يعم الذكر والأنثى، السديف: السنام، وقيل قطع السنام، المسرهد: المقطع، يقول: فظل الإماء يشوين الولد الذي خرج من بطنها تحت الجمر والرماد الحار، ويسعى الخدم علينا بقِّطع سنامه، وذِكر الحوار دال على أنها كانت حبلى، وهي من أنفس الابل عندهم.

[4] – لما فرغ من تعداد مفاخره أوصى ابنة أخية، ومعبد أخوه، فقال: إذا هلكت فأشيعي خبر هلاكي بثنائي الذي أستحقه واستوجبه، وشقي جيبك علي، يوصيها بالثناء عليه والبكاء، النعي: اشاعة خبر الموت، والفعل نعى ينعي، أهله: أي مستحقة، كقوله تعالى "وكانوا أحق بها وأهلها".

[5] – يقول: ولاتسوي بيني وبين رجل لا يكون همه مطلب المعالي كهمي، ولايشهد الوقائع مشهدي، والهم: أصله القصد، يقال: همَّ بكذا أي قصد له، الغَناء: الكفاية، المشهد في البيت: بمعنى الشهود وهو الحضور، أي ولا يغني غناءً مثل غنائي، ولا يشهد الوقائع شهودا مثل شهودي، يقول: لا تعدلي بي من لايساويني في هذه الخلال، فتجعلي الثناء عليه كالثناء علي، والبكاء علي كالبكاء عليه.

[6] – البطء: ضد العجلة، الجلى: الأمر العظيم، الخنا: الفحش، التلهيد: مبالغة اللهد، وهو الدفع بجمع الكف، يقول لابنة أخيه: ولا تجعليني كرجل يبطأ عن الأمر العظيم، ويسرع إلى الفحش، وكثيرا ما يدفعه الرجال بأجماع أكفهم، فقد ذل غاية الذل.

فَلَوْ كُنْتُ وَغْلاً فِي الرِّجَالِ لَضَرَّنِـــي* عَدَاوَةُ ذِي الأَصْحَــابِ والمُتَوَعِّدِ[1]
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالَ جَرَاءَتِـــي * عَلَيْهِمْ وإِقْدَامِي وصِدْقِي ومَحْتِـدِي[2]
لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بُغُمَّـــــــةٍ * نَهَارِي ولا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَـــــــدِ[3]
ويَوْمٍ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِـــــهِ * حِفَاظاً عَلَى عَوْرَاتِهِ والتَّهَـــــدُّدِ[4]
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى * مَتَى تَعْتَرِكْ فِيْهِ الفَرَائِصُ تُرْعَـدِ[5]
وأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِـــــوَارَهُ * عَلَى النَّارِ واسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ[6]
سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِـــلاً * ويَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَـنْ لَمْ تُــزَوِّدِ[7]
وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَـــــهُ * بَتَاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِــدِ[8]

---

[1] – الوغل: أصله الضعيف، يستعار للئيم، يقول: لو كنت ضعيفا من الرجال لضرتني معاداة ذي الأتباع، والمنفرد الذى لا أتباع له، ولكنني قوي منيع لا تضرني معاداتهم إياي.

[2] – الجراءة والجرأة واحد، وهي الشجاعة، المحتد: الأصل يقول: ولكن نفى عني مباراة الراجال ومجاراتهم شجاعتي وإقدامي في الحروب وصدق صريمتي وكرم أصلي.

[3] – الغمة والغم واحد، وأصل الغم التغطية، والفعل غم يغم، ومنه الغمام، لأنه يغم السماء أي يغطيها، ومنه الأغم والغماء، لأن كثرة الشعر تغطي الجبين والقفا.

[4]– العراك والمعاركة: القتال، الحفاظ: المحافظة على من تجب المحافظة عليه من المال والحريم، يقول: ورُب يوم حبست نفسي عن القتال وتهدد الاقران محافظة على حسبي.

[5]– الموطن: الموضع، الردى: الهلاك، الاعتراك والتعارك واحد، الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة عند مجمع الكتف ترعد عن الفزع، يقول: حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت من فرط الفزع وهول المقام.

[6] – ضبحت الشيء: قربته من النار حتى أثرت فيه، الحوار والمحاورة: مراجعة الحديث، نظرت: أي انتظرت، استودعته وأودعته واحد، المجمد: الذي لا يفوز، وأصله من الجمود.

[7]– يقول: ستطلعك الأيام على ماتغفل عنه، وسينقل إليك الأخبار من لم تزوده.

[8]– باع: بمعنى اشترى، البتات: كساء المسافر وأداته. ولم تضرب له: أي لم تبين له، يقول: سينقل اليك الأخبار من لم تشتر له متاع المسافر، ولم تبين له وقتا الإخبار إليك.

المحاضرة الثانية

المعلقات مضامينها وأساليبها

تمهيد:

المعلقات: اسم مشهور لعدد من القصائد الطوال، وقد اختُلف في أسمائها، وفي عددها، وفي أصحابها، وفي هذه المحاضرة بيان ذلك.

أولا- تعريف المعلقة:

1- لغة: هي من العِلْق، وهو المال الذي يكرم عليك، فتضنّ(تبخل) به، والعِلْقُ هو النفيس من كلّ شيء[1]، وفي حديث حذيفة: "فما بال هؤلاء الّذين يسرقون أعلاقنا"[2]، أي نفائس أموالنا، وسمي بذلك لتعلق القلب به[3].

2- اصطلاحا: هي قصائد جاهليّة، بلغ عددها السبع أو العشر، وبرزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتّى عدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية [4].

والواضح أن هناك علاقة واضحة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، فهذه القصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذّروة في اللغة، وفي الخيال والفكر، وفي الموسيقى وفي نضج التجربة، وأصالة التعبير.

---

[1] – لسان العرب، 268/10.

[2] – الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407، 1987، 1711/4.

[3] – تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، ،دار الهداية، 193/26.

[4] – المعجم الأدبي، د. جبّور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ص257.

وقد اختُلف في عددها وأصحابها، كما اختُلف في اسمها؛ فوردت لها أسماء كثيرة هي: المعلقات، والسموط، والمشهورات، والمذهبات، ولكن الاسم المشهور لها هو المعلقات، ويرجع اختيارها إلى حماد الراوية، الذي سماها السموط، جمع سمط، وهو العقد، وقد أراد حماد من هذه التسمية الدلالة على نفاسة ما اختاره[1].

ثانيا- المعلقات وشعراؤها:

لقد سميت المعلقات بهذا الاسم تشبيها لها بعقود الدر التي تعلق في النحور[2]، وقيل في سبب تسميتها: إن العرب كتبوها بماء الذهب على القباطي (قطع الكتّان المصري)، وعلقوها على أستار الكعبة، وهذا الرأي ينسب إلى ابن عبد ربه، وابن رشيق، وابن خلدون[3]، وقيل: بل سميت بالمعلقات لأن الناس علقوها في أذهانهم، أي حفظوها، والرأي الأخير هو الأوجه، لأن المسلمين حين فتحوا مكة وطهروا الكعبة وحطموا الأصنام لم يرد عنهم في كتب السيرة ذكر للمعلقات[4]، بل إن من يوثق بروايتهم وعلمهم من العلماء لم يشيروا إلى هذا التعليق، ولا سموا تلك القصائد بهذا الاسم، كالجاحظ والمبرد وصاحب الأغاني والزوزني والتبريزي، ويقولون إن الأسماء التي وردت بها تلك القصائد فيما لدينا من كتب الأدب واللغة إلى آخر القرن الثالث هي: السموط والسبع الطوال،

---

[1] - في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، 1412هـ، 1991م، علي الجندي، ص 154.

[2] - العصر الجاهلي الأدب والنصوص والمعلقات، د.محمد صبري الأشتر، مدريرية الكتب والمطبوعات العلمية، جامعة حلب، 1414هـ، 1994م، ص55.

[3] - في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص 155.

[4] - السابق، ص142.

والسبعيات، أما التسمية الأولى، فهي تسمية حماد، وأما الثانية فمن المفضل، وأما الثالثة فهي للباقلاني[1].

وللمعلقات قيمة أدبية هامة، لأنها تصور البيئة والحياة الجاهلية أوضح تصوير وأشمله، ثم إنها تتميز بموضوعاتها المتنوعة وأسلوبها القوي، إضافة إلى إنَّ أصحاب تلك المعلقات كانوا أهم شعراء الجاهلية، وهم:

1-زهير بن أبي سلمى:

شاعر من قبيلة مضر، وهو حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، كان له من الشعر ما لم يكن لغيره، توفي قبل البعثة بقليل، وأدرك أبناؤه الإسلام[2].

ومطلع معلقته:

أمِنْ أُمّ أوْفى دِمنةٌ لم تكلَّمِ * بحَوْمانَةِ الدِّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ[3]

2-عنترة بن شداد:

هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، وهو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، اشتهر بشعر الفروسية، فهو أشهر فرسان العرب وأشعرهم، والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف[4].

---

[1] – السابق، ص156.

[2] – ينظر: شرح القصائد العشر، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، إدارة الطباعة المنيرية، 1352هـ، ص 101.

[3] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ، 2006م، ص 132.

[4] – ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص 369.

ومطلع معلقته:

هَلْ غادرَ الشُّعراءُ مِنْ مُتَرَدمِ[1] * أمْ هَلْ عَرفَتَ الدارَ بعد توهم[2]

3-عمرو بن كلثوم:

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة وتجوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد، وأمه هي ليلى بنت المهلهل بن ربيعة[3].

ومطلع معلقته [4]:

ألا هُبي بِصَحِنكِ فاصبِحينا * ولا تُبقِي خُمورَ الأنْدَرِينا[5]

4-الحارث بن حِلّزة اليشْكُري:

اسمه الحارث بن ظليم بن حلزّة اليشكري، من عظماء قبيلة بكر بن وائل، كان شديد الفخر بقومه حتى ضرب به المثل، فقيل: (أفخر من الحارث بن حلزة)[6].

ومطلع معلقته[7]:

---

[1] – متردم: من قولك ردمت الشيء، إذا أصلحته.

[2] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص208.

[3] – ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 228/1.

[4] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص 251.

[5] – قرية بالشام فيها كروم.

[6] – ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 193/1.

[7] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص 291.

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ * رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ[1]

5-لبيد بن ربيعة العامري:

لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامِري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل نجد، مدح بعض ملوك الغساسنة مثل: عمرو بن جبلة وجبلة بن الحارث، وقد أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ مسلما، ولذا يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحدا، وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً، ومطلع معلقته[2]:

عَفَتِ الديارُ مَحَلُها فَمُقامُها * بمِنىً تأبَّد غُولُها فَرِجامُها[3]

6-امرؤ القيس:

أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي، وأحد أصحاب المعلقات السبعة المشهورة، كان من أكثر شعراء عصره خروجا عن نمطية التقليد، وكان سباقا إلى العديد من المعاني والصور، وهو صاحب أوليات في التشابيه والاستعارات[4].

ومطلع معلقته:

قفا نبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ* بسْقطِ اللَّوى بينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ[5]

---

[1] – الثواء والثُّويّ: الإقامة، والفعل ثوى يثوي.

[2] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص161.

[3] – تأبد: توحش، وكذلك أبِد يأبَدُ ويأبُدُ أبودًا. الغول والرجام: جبلان معروفان.

[4] – ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 107/1.

[5] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص22 .

7- طرفة بن العبد:

شاعر جاهلي من شعراء المعلقات، وقيل اسمه عمرو بن العبد لُقّب بطَرَفَة، وهو من بني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل، ولد في البحرين من أبوين شريفين، وكان له من نسبه العالي ما يحقق له هذه الشاعرية، فجده وأبوه وعماه المرقشان، وخاله المتلمس كلهم شعراء، مات مقتولا، وهو دون الثلاثين من عمره.
ومطلع معلقته:

لخوْلة أطلالٌ بِبرقةِ ثهْمَدِ * تلُوحُ كباقي الوشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

ويضاف أيضاً إلى هؤلاء السبعة ثلاثة آخرون، وهم:

8-عبيد بن الأبرص:

هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك، من قبيلة بني أسد، زمن مولده غير معروف، ويعد من شعراء الطبقة الأولى، قتله المنذر بن ماء السماء، حينما وفد عليه في يوم بؤسه، عاصر امرؤ القيس[1].
ومطلع معلقته:

أقفرَ من أهلِهِ ملحوبُ * فالقُطّبيات فالذَّنوبُ[2]

9- الأعشى:

هو ميمون بن قيس بن جندل، لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلا ويقال له: أعشى قيس، والأعشى الأكبر، ويكنى: أبا بصير، تفاؤلاً، عاش عمراً طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وهو من المقدمين في الجاهلية، وسئل يونس بن حبيب (أحد النحاة) عن أشعر

---

[1] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 259/1.

[2] – ملحوب: موضع ماء. القطبيات: هضاب. الذنوب: موضع.

الناس، فقال: "امرؤ القيس إذا ركب، والنابغـــة إذا رهب، وزهيـر بن أبي سلمى إذا رغب، والأعشى إذا طرب"[1]

ومطلع معلقته :

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل[2]

10-النابغة الذبياني:

هو أبو أمامة زياد بن معاوية، ولقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى صار كبيرا، اتصل بالنعمان بن المنذر فاستخلصه إليه، ثم غضب عليه ففر إلى الشام، ولاذ بعمـــرو بن الحـــارث الأصغـــر الغساني، حتـــى بلغه أن النعمان مريض، فرجع يطلب الشفاعة إليه، ويرجو البراءة عنده، مقدما بين يديه تلك القصائد الخالدة في الاعتذار[3].

ومطلع معلقته:

يا دار ميّـةَ بِالعلياء فالسَّندِ * أَقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَبد[4]

---

[1] – ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ، 1997م، 175/1.

[2] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص291.

[3] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 156/1.

[4] – شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، ص352.

ثالثا-مضمون المعلقات:

تعددت موضوعات المعلقات، واختلفت جزئيا بين معلقة وأخرى، إلا أن الأغلبية تشترك في البداية بالبكاء على الأطلال والغزل، ثم وصْف النوق والسّفر، أو الخيل أو المطر، أو البلاء في الحرب... أو سوقٌ لبعض الحِكَم، وضرب لبعض الأمثال، وذكر لبعض الوقائع...[1].

أما ألفاظها فكاملة الصياغة حافلة بالصقل والتجويد، زاخرة بقيم موسيقية وتصويرية كثيرة، وأما معانيها فهي حسية، تغلب عليها السطحية والتقريرية والسرعة[2].

وتمتاز المعلقات بوفرة معانيها، وتنوع أغراضها، وجمعها بين السهولة والغرابة في اللفظ، وبين الرقة والمتانة في الأسلوب، وبين الحكمة واللهو والجد والهزل في النهج والحياة.

وهي تصور الشاعر وحياته، وأمانيه ومطامحه، ولذاته ولهوه، وبيئته والحياة فيها تصويرا جميلا رائعا حد الدقة والإحكام والجمال[3]، وتمتاز بعدة ميزات، أهمها:

1-الصدق: كان الشاعر يعبّر عمّا يشعر به حقيقة ممّا يختلج في نفسه، بالرغم من أنّه كان فيه المبالغة أحيانا.

---

[1] – العصر الجاهلي الأدب والنصوص والمعلقات، د.محمد صبري الأشتر، ص307.

[2] – تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، 427/1.

[3] – نفسه،70/1.

2-البساطة: إن الحياة الفطرية والبدوية تجعل الشخصيّة الإنسانية بسيطة، كذلك كان أثر ذلك على الشعر الجاهلي عموما، والمعلقات خصوصا.

3-القول الجامع: كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامّة، فمثلاً قالوا في امرئ القيس بقصيدته (قفا نبكِ) إنّه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد.

4-الإطالة: كان يُحمد للشاعر الجاهلي أن يكون طويل النفس، أي يطيل القصائد، وأحيانا كان يخرج عن الموضوع الأساسي، وهذا يسمّى الاستطراد.

5- الطابع البدوي: وهو مسيطر على معظم الشعر الجاهلي، مما هو أثر للبيئة والحياة الجاهلية، ومن آثار هذا الطابع في الشعر الجاهلي:

• شدة تمثيله للبيئة البدوية، تلك البيئة التي عاش فيها العربي فوصفها وصفاً دقيقاً وتمثلها في شعره تمثلاً كاملاً .

• بدء أغلب القصائد الجاهلية بذكر الأطلال ووصف الديار وذلك لطبيعة حياتهم القائمة على الترحال والانتقال من مكان لآخر وطبيعة العربي أنه يحنُّ إلى ماضيه .

رابعا-خصائص أسلوب المعلقات:

أسلوب المعلقة جزل مع الجمال والصدق والتنقل في الخيال، ومع سحر المطلع وفخامته.

ويشيع الوصف في المعلقات، كوصف السفينة، والصحراء، والناقة، والفرس، ومجالس الشراب، والغيث، والرعد...[1]

وهي تتسم عموما بـ:

– البساطة والوضوح والصدق وعدم التكلف.

– قلة المحسنات وألوان التزيين الفني والزخرف البديعي.

– متانة الأسلوب وقوته وجزالته.

– القصد إلى المعني في إيجاز ويسر وعدم الإطالة.

– صور الشعر الجاهلي وأخيلته محدودة بحدود البيئة الصحراوية، مما أدى إلى ظهور التكرار في الصور والمعاني في الشعر الجاهلي.

– الصدق والصراحة في وصف الانفعالات والعواطف والوقائع في غير مبالغة.

[1] – أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص11.

نماذج شعرية للتطبيق:

1- من معلقة زهير بن أبي سلمى:

سئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَــنْ يَعِشْ * ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْـــــأَمِ[1]

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَـــهُ * وَلكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَـمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ * تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[2]

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيـــرَةٍ * يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِـــمِ[3]

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ * يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَـــمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـــــهِ * عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَـــمِ

---

[1] – سئمت الشيء: مللته – التكاليف: المشاق والشدائد – لا أبا لك: يراد بها التنبيه والإعلام يتحدث الشاعر عن تجربته في الحياة قائلا: مللت مشاق الحياة وشدائدها، ومن عاش ثمانين سنة ملَّ الكبر لا محالة.

[2] – الخبط: الضرب باليد، العشواء: تأنيث الأعشى، والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلا، التعمير: تطويل العمر.

يتحدث الشاعر عن تجربته في الحياة قائلا: رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة كما أن هذه الناقة تطأ على غير بصيرة ، من أصابته أهلكته ومن أخطأته أبقته يبلغ الهرم.

[3] – يصانع: يداري، يضرس بأنياب: يغلب ويذل، يوطأ: يداس، المنسم: خفّ البعير، والجمع المناسم. أي: ومن لم يدارالناس في كثير من الأمور قهروه وأذلوه وربما قتلوه كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم. يوطأ بمنسم: كناية عن الذل.

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُـــــــهُ * إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَـــمِ[1]

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَـــــــــهُ * وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُـــلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِـــــهِ * يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْـــــــدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْـــرَافَ الزُّجَـــــاجِ فَإِنَّـــهُ * يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْـــذَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِـــــــــهِ * يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْـلَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَـدُواً صَدِيقَـــــهُ * وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَـــــرَّمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَـــــةٍ[2] * وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِـــتٍ لَكَ مُعْجِـــبٍ * زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّـــــــمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْـــفٌ وَنِصْـــفٌ فُـــؤَادُهُ * فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُـــــورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ[3]

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْـــــخِ لا حِلْمَ بَعْـــدَهُ * وَإِنّ الفتـــــى بعد السفاهـــة يحلم

2- من معلقة عنترة:

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْـــتِ فإِنَّنِـــــي * سَمْـــحٌ مُخَالقَتـــــي إِذَا لم أُظْلَـــمِ[4]

---

[1]- لا يتجمجم: لا يتردد.

[2]- خليقة: طبع. أي: مهما كان للإنسان من خلق، يظن أنه يخفى على الناس يُعْلم.

[3] - الإنسان بلسانه وقلبه وما عدا ذلك صورة.

[4]- المخالقة: مفاعلة من الخلق، يخاطب الشاعر عبلة فيقول: أثني علي بما علمتِ من مجامدي ومناقبي، فإني سهل المخالطة والخلق إذا لم يهضم حقي ولم يبخس حظي.

وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِـــلٌ * مُـــرٌّ مَذَاقَتُـــهُ كَطَعـــمِ العَلْقَـــمِ

ولقَد شَرِبْتُ مِنَ المُدَامـــةِ بَعْـدَما * رَكَدَ الهَواجـــرُ بِالمشـــوفِ المُعْلَـمِ[1]

بِزُجاجَةٍ صَفْـراءَ ذاتِ أَسِـــــرَّةٍ * قُرِنَتْ بِأَزْهَـــر في الشَّمـــــالِ مُفَدَّمِ[2]

فإِذَا شَرَبْتُ فإِنَّنِـــــي مُسْتَهْلـــكٌ * مَالـــي وعِرْضـــــي وافِرٌ لَم يُكلَـمِ[3]

وإِذَا صَحَوتُ فَما أُقَصِّرُ عنْ نَدَىً * وكَما عَلمـتِ شَمائِلـــي وتَكَرُّمـــي[4]

هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِـــكٍ * إِنْ كُنْتِ جاهِلَـــةً بِمَا لَم تَعْلَمِـــي

يُخْبِركِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أَنَّنِـــي * أَغْشى الوَغَى وأَعِـــفُّ عِنْد المَغْنَـــمِ

لمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُـــمْ * يَتَذَامَـــرُونَ كَـــرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّـــمِ[5]

---

[1] – ركد: سكن ، الهواجر: جمع الهاجرة وهي أشد الأوقات حرا، المشوف: المجلو، المدام والمدامة: الخمر، يقول: ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر وسكونه بالدينار المجلو المنقوش، والعرب تفتخر بشرب الخمر والقمار، لأنهما دلائل الجود عندها. قوله: بالمشوف، أي بالدينار المشوف، فحذف الموصوف، ومنهم من جعله من صفة القدح، وقال: أراد بالقدح المشوف.

[2] – الأسرة: جمع السر والسَّر، وهما من خطوط اليد والجبهة وغيرهما ، بأزهر: أي بإبريق أزهر، مفدم : مسدود الرأس بالفدام يقول: شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بإبريق أبيض مسدود الرأس بالفدام، لأصب الخمر من الإبريق في الزجاج.

[3] – يقول: فاذا شربت الخمر فانني أهلك مالي بجودي ولا أشين عرضى، يفتخر بأن سكره يحمله على محامد الأخلاق ويكفه عن المثالب.

[4]– يقول: وإذا صحوت من سكري لم أقصر عن جودي، أي يفارقني السكر ولا يفارقني الجود، قئد افتخر الشاعر بالجود ووفور العقل إذا لم ينقص السكر عقله.

[5] – التذامر: من الذمر، وهو الحض على القتال، يقول: لما رأيت جمع الأعداء قد أقبلوا نحونا يحض بعضهم بعضا على قتالنا، عطفت عليهم لقتالهم غير مذمم، أي محمود القتال غير مذمومة.

يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأَنَّـــــها * أشْطَانُ بِئْــرٍ في لَبانِ الأَدْهَـــــــمِ[1]

مازِلْتُ أَرْمِيهُمْ بِثُغْرَةِ نَحْـــــرِهِ * ولِبانِــهِ حَتَّى تَسَرْبَـــــــلَ بِالـــــدَّمِ[2]

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْـــعِ القَنا بِلِبانِــهِ * وشَكَا إِلَــيَّ بِعَبْــــــرَةٍ وَتَحَمْحُـــــمِ[3]

لو كانَ يَدْرِي مَا المُحاوَرَةُ اشْتَكَــى* وَلَكانَ لــو عَلِـمَ الكَلامَ مُكَلِّمِـــــــي[4]

ولقد شفى نفســي وأذهب سقمــها* قيـــل الفـــوارس ويك عنتـــر أقدم[5]

---

[1] – الشطن: الحبل الذي يستقى به، والجمع: الاشطان، اللبان: الصدر. يقول: كانوا يدعونني في حال إصابة رماح الاعداء صدر فرسي ودخولها فيه، ثم شبهها في طولها بالحبال التي يستقى بها من الآبار.

[2] – الثغرة: الثقب في أعلى النحر، والجمع الثغر يقول: لم أزل أرمي الاعداء بنحر فرسي حتى جرح وتلطخ بالدم وصار الدم له بمنزلة السربال، أي عم جسده عموم السربال جسد لابسه.

[3] – الازورار: الميل، التحمحم: من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له يقول: فمال فرسي مما أصابت رماح الأعداء صدره ووقوعها به، وشكا إلي بعبرته وحمحمته، أي نظر إلي وحمحم لأرق له.

[4] – يقول: لو كان يعلم الخطاب لاشتكى إلي مما يقاسيه ويعانيه، ولكلمني لو كان يعلم الكلام، يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا إليه مما أصابه من الجراح.

[5] – يقول: ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قول الفوارس لي: ويلك يا عنتر أقدم نحو العدو واحمل عليه، يريد أن تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمه.

المحاضرة الثالثة

الصعاليك شعرهم وشعراؤهم

تمهيد:

عرف العصر الجاهلي ظاهرة (الصعلكة) أو (التصعلك)، وقد امتاز بها عدد من الأفراد الذين أبعدوا عن قبائلهم، لسبب أو لآخر، وكوّنوا لأنفسهم مجتمعا خاصا بهم، معتمدين في ذلك على سيوفهم ورماحهم وسرعة عدْوهم... فالصعلكة ظاهرة اجتماعية، برزت على هامش الحياة الجاهلية، كرد فعل لبعض العادات والممارسات، واستمرت الصعلكة ردحاً من الزمن.

وقبل الحديث عن هذه الظاهرة، ينبغي تعريف هذا المصطلح من الناحية اللغوية، لنعرف معناه عند العرب، ونكتشف بعض أبعاده.

أولا-تعريف الصعلوك:

1- لغة: ورد في لسان العرب أن (الصعلوك): الفقير الذي لا مال له، وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك"[1].

وقد ورد في الحديث أن فاطمة بنت قيس جاءت النبي ﷺ فذكرت له أنه أتاها أبو جهم بن حذيفة، ومعاوية بن أبي سفيان فخطباها، فقال: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك، لا مال له[2].

وهذا المعنى ورد كذلك عند حاتم الطائي في قوله:

---

[1] – لسان العرب، 455/10.

[2] – صحيح مسلم، 1114/2 .

غَنِينا زماناً بالتصعلُكِ والغِنى[1] * فكُلاً سقاناه بكأسَيْهِما الدهرُ[2]

وهكذا فإن العرب إذا أطلقت هذا المصطلح، فإنها تعني به الفقير.

2- اصطلاحا: لقد تغيرت دلالة هذا المصطلح، بحيث أصبحت تدل على طائفة من الشعراء، ممن كانوا يمتهنون الغزو والسلب والنهب؛ قال ابن منظور: "يقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذوبان[3]، لأنهم كالذئاب ... وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون"[4].

وهكذا يمكننا القول: إن الصعاليك هم جماعة من الفقراء اللصوص، خرجوا عن طاعة رؤساء قبائلهم، ولم يخضعوا للأعراف القبلية، بل تمرّدوا عليها، ولم يتقيدوا بالتزام القبيلة أو محالفاتها لقبائل أخرى، وكانوا يُغيرون على البدو والحضر، ويقطعون الطريق، ويُغيرون على القوافل، فيقتلون ويسلبون، وكانوا يقولون الشعر الذي يصوّر أحوالهم، وقد يجتمعون معاً في بعض الأحيان في غزو بعض القبائل[5].

---

[1] – أي: بالفقر والغنى.

[2] – الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 94/1.

[3] – الأَصل فِي ذُوبان الهمزُ، وَلَكِنَّهُ خُفِّفَ، فانْقَلَبَتْ وَاوًا. ينظر: لسان العرب، 378/1.

[4] – لسان العرب، 377/1، 378.

[5] – ينظر: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م ، ص27.

ثانيا–أنواع الصعاليك:

النوع الأول– أغربة العرب:

وهم أبناء الحبشيات السود من الإماء، كان البعض من العرب يأنفون من إلحاقهم بنسبهم وينبذونهم، فكانوا يتمردون على ذويهم، ويخرجون إلى الصحراء، كما فعل السُّليك بن السُّلكة، وتأبط شراً، والشنفرى.

النوع الثاني– الخلعاء:

وهم جماعة خرجوا على عادات القبيلة وتمردوا على أعرافها، وقد تخلت عنهم قبائلهم، لِما ارتكبوه من جرائم وحماقات، وهؤلاء كانت تخلعهم قبائلهم، مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية الخزاعي...

النوع الثالث– المحترفون:

وهم فئة احترفت الصعلكة احترافاً، وهذه الطائفة كانت تضم أفراداً وقبائل، مثل:

عروة بن الورد العبسي، وقبيلتي (فهم) و (هذيل) اللتين كانتا تنزلان بالقرب من الطائف ومكة [1].

ثالثا–أشهر الصعاليك:

1– تأبط شرا: هو ثابت بن جابر بن سفيان، ويعد من أغربة العرب، وكان أشد العرب سمعًا، وأحدهم بصرًا، وكان أعدى رجل؛ ينظر إلى الظباء ثم يعدو خلفها فلا تفوته[2]، وتُرْوَى له مغامرات كثيرة؛ غير أنها مطبوعة بطابع القصص الشعبي، مما أتاح للانتحال أن يلعب دورًا واسعًا فيما نسب إليه من أشعار [3] .

ومن شعره تصوير عدْوِه السريع، قول:

---

[1] – ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط8، 375/1.

[2] – في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص284.

[3] – تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، 377/1.

لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ * بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى بنِ بـــــرّاقِ[1]

كَأَنَّما حَثحَثـــــوا حُصًّا قَوادِمُـــهُ * أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّــاقِ[2]

لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُـذَرٍ * وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيـــدِ خَفّــاقِ [3]

حَتّى نَجَوتُ وَلَمّا يَنزِعوا سَلَبــي * بِوالِهٍ مِن قَبيضِ الشَدِّ غَيـــــداقِ [4]

وهو القائل:

ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تاركـــــي * ولكن متى أحملْ على الشر أركب[5]

2-عروة بن الورد:

هو عروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب[6]، وهو من بنى عبس، وكان أبوه من شجعان قبيلته وأشرافهم، ومن ثم كان له دور بارز في حرب داحس والغبراء، أما أمه فكانت من نهد من قضاعة، وهي عشيرة وضيعة، لم تُعرف بشرف ولا خطر، فآذى ذلك نفسه؛ إذ أحس في أعماقه من قِبلها بعار لا يمحى، وهو يقول:

---

[1] – العيكتان: موضع . معدى: موضع العدو ، وهو منسوب إلى رجل اسمع ابن براق.

[2] – حثحثوا: حركوا وأثاروا. القوادم: ما يلي الرأس من ريش الجناحين. الحص: جمع أحص وهو ما تناثر ريشه وتكسر لسرعته. يريد بذلك الظليم. الحشف: ولد الظبية. الشث والطباق: من نباتات الصحراء.

[3] – ذا العذر: الفرس. والعذر: ما أقبل من شعر الناصية على الوجه. وذا جناح: يريد الطير. الريد: حرف الجبل.

[4] – السلب: ما يسلب في الحرب. الواله: ذاهب العقل. القبيض: السريع. الشد: العدو: غيداق: واسع.

[5] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 683/2.

[6] – الأغاني، الأصبهاني، 72/3 .

وما بِيَ مِن عارٍ إخالُ عَلِمتُهُ * سِوى أَنَّ أَخوالي إذا نُسِبوا نَهدُ[1]

وكان يلقّب عروة الصّعاليك[2]، وسمي كذلك لأنه كان كريمًا فياضًا، وأثر عنه أنه كان يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عبس ومعوزيها ومرضاها، متخذًا لهم حظائر يأوون فيها، قاسمًا بينه وبينهم مغانمه[3].

وقال المبرد إنما سمي عروة الصعاليك، لأنه كان إذا شكا إليه فتى من فتيان قومه الفقر، أعطاه فرسا ورمحا، وقال له: إن لم تستغن بهما، فلا أغناك الله[4].

وقيل غير ذلك، وقال عبد الملك بن مروان: ما يسرّنى أن أحدا من العرب ولدنى إلا عروة بن الورد، لقوله[5]:

إنّى امرؤ عافى إنائى شركـــــة * وأنت امرؤ عافى إنائك واحــد [6]

أقسّم جسمى فى جسوم كثيـــرة * وأحسو قراح الماء، والماء بـــارد [7]

أتهزأ منّى أن سمنتَ وأن تـــرى* بجسمى مسّ الحقّ، والحقّ جاهد [8]

ومن شعر عروة قوله، وهو يطلب من زوجته السماح له لطلب المال:

---

[1] – تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، 383/1.

[2] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 665/2.

[3] – تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، 67/1.

[4] – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، ص103.

[5] – تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص 384.

[6] – قوله: عافي إنائي شركة، أي يأكل معي عدة يشاركونني فيما في الإناء، وأصل العافي من عفاه واعتفاه، إذا طلب معروفه، فأعفاه أي أعطاه.

[7] – قوله أقسم: أراد قوت جسمي وطعمته، لأني أوثر به الغير على نفسي وأجتزىء بحسو الماء القراح، وهو البحت الذي لا يخالطه شيء من اللبن وغيره، والماء بارد، أي والشتاء شات والبرد متناه.

[8] – قوله: مسّ الحقّ: الشحوب، وقد أضاف الشحوب إلى الحق، لأن سببه كان توفره على إقامة الحقوق وأدائها في وجوهها، والعرب تضيف الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما، فكأنه قال الشحوب الذي كان سببه توفري على إقامة الحق.

دَعيني لِلغِنى أَسعـــــى فَإِنّـــي* رَأَيتُ النـــــاسَ شَـرُّهُمُ الفَقـيرُ
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُـم عَلَيـــــــــهِ * وَإِن أَمسـى لَهُ حَسَبٌ وَخِيـــــرُ
وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريـــــــــهِ * حَليلَتُهُ وَيَنهـــــرُهُ الصَغيـــرُ

3-السُّلَيْك بن السُّلَكَة :

اسمه الحارث بن عمرو بن زيد مُناة بن تميم، وكان أشعر العرب، وكانت أمه أَمةً سوداء، وكان يدعى (سُلَيْكَ المَقَانِب[1]) وكان أدلَّ الناس بالأرض وأعداهم على رجِله، لا تعلق به الخيل[2].

والعرب تضرب به المثل وتزعم أنه والشنفرى أعدى من رُئي، ويحكى كثير عن سبقهما الأفراس وصيدهما الظباء عدوا[3]، ومن شعره[4]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدهَر لونـــــانِ لونُـــهُ* وَطَورانِ: بِشْـرٌ مَرَّةً وَكَذوبُ؟
فَمَا خَيرُ مَنْ لا يُرتَجَى خَيرَ أَوْبَةٍ * وَيُخشَى عليهِ مِرية[5]وحُرُوبُ؟
رَدَدْتُ عليهِ نفسَـــــــهُ فكأنمـا * تَلاقَى عليهِ مِنْسَـرٌ وسَرُوبُ[6]
فما ذَرَّ قَرنُ الشَمـس[7] حتى أَرَيتُهُ * قُصارَ المَنَايا والفـــؤادُ يذوبُ

---

[1]- القانب: جمع المِقْنَبُ بالكسر، جماعةُ الخيل والفرْسان، وقيل هي دون المائة، لسان العرب، 1/ 690.

[2]- مجمع الأمثال، الميداني، 9/2.

[3]- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص 135.

[4]- الأغاني، 395/20.

[5]- المِرْيَةُ: الشَّكُّ والجَدَل.

[6]- سروب : جمع سرب، وهو: الماشية.

[7]- هو أوّل طلوعِها وشروقُها.

4- الشنفرى:

هو عمرو بن مالك الأزدي، من بني الحارث بن ربيعة، صعلوك جاهلي مشهور من قبيلة الأزد اليمنية، ويعني اسمه (غليظ الشفاه)، نشأ في قبيلة فهم العدنانية مع أمه بعد أن قتلت الأزد والده، وكان الشنفرى سريع العدْو، لا تدركه الخيل حتى قيل: (أعدى من الشنفري)، وكان يغِير على أعدائه من بني سلامان، برفقة صعلوك فتاك هو تأبط شراً من قبيلة فهم العدنانية، وهو الذي علمه الصعلكة، عاش الشنفري في البراري والجبال وحيداً، حتى ظفر به أعداؤه فقتلوه قبل 70 سنة من الهجرة النبوية.

وستأتي أبيات للشاعر.

وهكذا تبين أن الصعاليك هم مجموعة من الشعراء الفقراء، تمردوا على قبائلهم، واحترفوا السرقة، وكانوا يقولون الشعر الذي يصوّر أحوالهم، ويحكي مغامراتهم[1].

[1] – المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، 18/ 203.

للتطبيق: من لامية الشنفرى:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُـــمْ * فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَـــــلُ[1]

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِـــرٌ * وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُـــــلُ[2]

وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيـــمِ عَنِ الأَذَى* وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَـزَّلُ[3]

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ * سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ[4]

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون: سِيدٌ عَمَلَّـــــسٌ* وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَـــاءُ جَيـْأَلُ[5]

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِـعٌ * لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْـذَلُ[6]

---

[1] – بنو الأم: الأشقاء أو غيرهم ما دامت تجمعهم الأم. والمطيّ: ما يُمتَطى ، والمقصود الإبل.

[2] – حُمَّت: قُدِّرتْ ودُبِّرت. والطِّيَّات: جمع الطِّيَّة، وهي الحاجة، وقيل: الجهة التي يقصد إليها المسافر. الأرْحل: جمع الرحل، وهو ما يوضَع على ظهر البعير. ومعنى البيت: لقد قُدِّر رحيلي عنكم، فلا مفرّ منه، فتهيؤوا له .

[3] – المَنأى: المكان البعيد. القِلى: البغض والكراهية. والمتعزَّل: المكان لمن يعتزل الناس. والبيت فيه حكمة: ومعناه أن الكريم يستطيع أن يتجنب الذلّ، فيهاجر إلى مكان بعيد عمَّن يُنتظر منهم الذلّ، كما أن اعتزال الناس أفضل من احتمال أذيتهم.

[4] – لعمرك: قَسَم بالعمر. سرى: مشى في الليل. راغباً: صاحب رغبة. راهباً: صاحب رهبة. والبيت معناه أن الأرض واسعة سواء لصاحب الحاجات والآمال أم للخائف.

[5] – دونكم: غيركم. الأهلون : جمع أهل. السِّيد: الذئب. العملَّس: القويّ السَّريع. الأرقط: الذي فيه سواد وبياض. زُهلول: خفيف. العرفاء: الضبع الطويلة العُرف. جَيْئَل: من أسماء الضبع. والمعنى أن الشاعر اختار مجتمعاً غير مجتمع أهله، كلّه من الوحوش، وهذا هو اختيار الصعاليك.

[6] – هم الأهل أي الوحوش، وكأنَه قال:هم الأهل الحقيقيّون لا أنتم. والجاني: المقْترف الجناية أي الذنب. جرَّ: جنى. والشاعر في هذا البيت يقارن بين مجتمع أهله ومجتمع الوحوش ، فيفضل هذا على ذاك ، وذلك أن مجتمع الوحوش لا يُفْشِي الأسرار، ولا يخذل بعضه بعضاً بخلاف مجتمع أهله.

وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِل غَيْـــرَ أَنَّنِـــــي * إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَرَائِدِ أبْسَــلُ[1]

وَإِنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أكُــنْ* بِأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَــعُ القَوْمِ أَعْجَلُ[2]

وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّـــــلٍ* عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّــلُ[3]

وَإنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْـسَ جَازِيـــــاً* بِحُسْنَى ولا في قُرْبِــهِ مُتَعَلَّــلُ[4]

ثَلاَثَةُ أصْحَـــــــابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّـــــعٌ * وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْــرَاءُ عَيْطَـلُ[5]

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسَ المُتُونِ تَزِينُـــــــــها * رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَـلُ[6]

---

[1]– وكلٌّ: أي كل وحش من الوحوش التي ذكرتها. أبيّ: يأبى الذّلَّ والظلم. باسل: شجاع. الطرائد: جمع الطريدة ، وهي كل ما يُطرد فيصاد من الوحوش والطيور. أبْسَل: أشَدّ بسالَةً. والشاعر يتابع في هذا البيت مدح الوحوش فيصفها بالبسالة ، لكنه يقول إنّه أبسل منها.

[2]– الجَشع: النَّهم وشدَّة الحرص. وفي هذا البيت يفتخر الشاعر بقناعته وعدم جشعه.

[3]– ذاك: كناية عن أخلاقه التي شرحها. البسطة: السعة. التفضُّل: ادّعاء الفضل على الغير، والمعنى أنَّ الشاعر يلتزم هذه الأخلاق طلباً للفضل والرِّفعة.

[4]– التعلّل: التلهِّي، والمعنى: ليس في قربه سلوى لي، يريد: أني فقدتُ أهلًا لا خير فيهم، لأنهم لا يقدِّرون المعروف ، ولا يجزون عليه خيراً، وليس في قربهم أدنى خير يُتَعلّل.

[5]– المُشيَّع: الشجاع. كأنَّه في شيعة كبيرة من الناس. الإصليت: السَّيف المُجرَّد من غمده. الصفراء: القوس من شجر النَّبع. العيطل: الطويلة. والمعنى أن عزاء الشاعر عن فقد أهله ثلاثة أشياء: قلب قويّ شجاع، وسيف أبيض صارم مسلول، وقوس طويلة العنق .

[6]– هتوف: مُصَوِّتة. الملس: جمع ملساء. المُتون: جمع المتن، وهو الصُّلب. والرصائع: جمع الرصيعة، وهي ما يُرصَّع أي يُحلَّى به. نيطت: عُلِّقت. المِحْمَل: ما يُعلَّق به السيف أو القوس على الكتف. والشاعر في هذا البيت يصف القوس بأنّ لها صوتاً عند إطلاقها السهم، وهي مزيَّنة ببعض ما يُحلَّى بها، بالإضافة إلى المحمل الذي تُعلَّق به.

إذا زَلَّ عنها السَّهْـــمُ حَنَّتْ كأنَّـــــــها * مُرَزَّأَةٌ عَجْلَـى تُـــــرنُّ وَتُعْـوِلُ[1]

وَأغْد خَمِيصَ البَطْن لايَسْتَفِزُّنـــــــــي * إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤادٌ مُوَكَّـــلُ[2]

[1] – زلّ: خرج. حنين القوس: صوت وترها. مُرزَّأة: كثيرة الرزايا (المصائب). عَجْلى: سريعة. تُرنّ: تصوِّت برنين، تصرخ. تُعول: ترفع صوتها بالبكاء والعويل. والمعنى أن صوت هذه القوس عند انطلاق السهم منها يشبه صوت أنثى شديدة الحزن تصرخ وتولول.

[2] – خميص البطن ضامره، يستفزّني : يثيرني.الحِرْص : الشَّرَه إلى الشيء والتمسّك به .

المحاضرة الرابعة

الشعر في صدر الإسلام

تمهيد:

ظهر الإسلام فتغيرت كثير من الأفكار والعقائد والتصورات والأخلاق، وكان لزاما أن يظهر هذا التغيّر في الشعر، لأنه يصور حياة العرب وواقعهم... وفيما يلي بيان ذلك.

أولا- العرب قبل الإسلام:

كان العرب قبل الإسلام أمة تعيش في شكل قبائل متناحرة، يأكل قويها ضعيفها، وقد شاعت فيهم عبادة الأصنام، إلا قلة من أهل الكتاب، أو المجوس[1]، ولعل أصدق صورة لحياة العرب قبل الإسلام هي التي رسمها جعفر بن أبي طالب حين خاطب النجاشي ملك الحبشة قائلا: "أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف ..."[2].

وهذا الكلام يختصر حالة العرب الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية قبل الإسلام .

ثانيا- أثر الإسلام على العرب:

أحدث ظهور الإسلام تحولا جذريا في حياة العرب، فنقلهم من طور التجزئة القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام، وتتخذ القرآن الكريم مثلا أعلى، كما رسّخ فيهم عقيدة التوحيد، فنقلهم من عقلية الوثنية والسحر والاعتقاد في النجوم، إلى العقلية العلمية البعيدة عن الخرافات والدجل، فحرر

---

1 - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، 34/11.

2 - مسند أحمد بن حنبل، 201/1.

عقولهم من الأوهام، ودعاهم إلى النظر إلى ما في الكون وظواهره، واستجلاء الحكمة من خلقه، "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)" [سورة آل عمران] .

وقد حرر الإسلام العرب أيضا من العصبية الجاهلية، وشرع أحكاما جديدة في الزواج والطلاق والعبادات والشؤون المدنية والمالية، ونظّم أمور المسلمين في معيشتهم ومعاملاتهم، وبنى المجتمع على المحبة والإخاء، وصار الناس لا يتمايزون بأنسابهم، بل بالتقوى، "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" [الحجرات، 13] .

أما المرأة فقد أعطــاها حقوقها، وثمّـــن دورها في بناء المجتمع، وأنقذها من عبوديتها، ومنع وأْدها، وكفل لها حق العلم، واختيار الزوج، والميراث، وكلفها ما كلف به الرجال من أمور الدين.

وبذلك يكون الإسلام قد أحدث انقلابا شاملا على المجتمع الجاهلي، بعقائده وقيمه وأعرافه، وأسّس لمجتمع جديد، يختلف جذريا في عقائده وقيمه وأعرافه ومواصفاته وممارساته عن المجتمع السابق[1].

ثالثا–أثر الإسلام في الشعر:

لقد ظهر أثر الإسلام في الشعر بشكل جليّ، فقارئ الشعر الإسلامي يدرك بكل وضوح هذا الأثر؛ ويمكننا أن نجمل ذلك فيما يلي:

1–ضمور بعض الأغراض الشعرية القديمة التي كانت سائدة في الجاهلية، كالشعر القبلي القائم على العصبية القبلية، ووصف الخمر والغزل الفاحش

1 – ينظر : فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان، ط10، 1969م، ص75 ومابعدها.

والهجاء المقذع، إلا ما اقتضته ظروف الرد على شعراء المشركين، ويشير حسان بن ثابت إلى ذلك في قوله:

لَوْلا النّبيُّ وقوْلُ الحقّ مَغضَبَة * لمَا تركتُ لكم أُنْثى وَلا ذَكَرَا[1]

وكذلك نجد الحطيئة بعد أن عوقب على هجائه يقول:

ولَمَّا أنْ مَدَحْتُ القَوْمَ قُلْتُمْ * هجوت ولا يحلُّ لك الهجاءُ

ألم أكُ مسلماً فيكون بيني * وبينكمُ المودَّةُ والإخـــــاءُ

فلَمْ أَشْتُمْ لكُمْ حَسَبَاً ولكن * حدوتُ بحيث يُستمَعُ الحداءُ[2]

وكان كل من يخرق هذه القاعدة يُعاقب؛ فقد روي أن تميم بن مقبل استعدى عمر بن الخطاب على النجاشي[3]، فقال يا أمير المؤمنين: هجاني، فأعْدِني عليه، قال: يا نجاشي ما قلت؟ قال يا أمير المؤمنين، قلت ما لا أرى علي فيه إثما، وأنشد:

إذا الله جازى أهل قوم بذمة * فجازى بني العجلان رهط بن مقبل

قبيلة لا يغدرون بذمـــــة * ولا يظلمون الناس حبة خـــــردل

فقال عمر: ليتني من هؤلاء، فقال:

ولا يردون الماء إلا عشيـــة * إذا صدر الوراد من كل منهل

فقال عمر: ما على هؤلاء متى وردوا، فقال:

---

1 – ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م، 136.

2 – ديوان الحطيئة ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ، 2005م، ص10 .

3 –النجاشي: هو قيس بن عمرو الحارثي، وكان ممن لازم عليًّا وشهد معه معركة صفين، ومدحه. وقد بلغ عليًّا وهو بالكوفة أنه كان سكران في شهر رمضان مع أبي سماك الأسدي، فهرب أبو سماك، وقبض على النجاشي، فحده علي ثمانين سوطا، ثم زاده عشرين، فقال له: ما هذه العلاوة؟ فقال: لجرأتك على الله في شهر رمضان. ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 454/18.

وما سمي العجلان إلا لقوله * خذ القعب[1] واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر: خير القوم أنفعهم لأهله، فقال تميم فسله عن قوله:

أولئك أولاد الهجين[2] وأسرة * اللئيم ورهط العاجز المتذلل

فقال عمر: "أما هذا فلا أعذرك عليه، فحبسه وضربه"[3].

2-بروز شعر الدّفاع عن العقيدة الجديدة، ووصف معارك الفتوح، وتصوير البطولات، والافتخار بالشّجاعة والثبات، يقول كعب بن مالك:

قضى يوم بدر أن نلاقي معشـــرا * بغوا وسبيل البغي بالناس جائر

وقد حشدوا و استنـــفروا من يليهم * من الناس حتى جمعهم متكاثر

فلما لقيناهم و كل مجاهـــــــــد * لأصحابه مستبسل النفس صابر

شهدنا بأن الله لا رب غيـــــــره * وأن رسول الله بالحق ظاهر[4]

3- تطور الأغراض القديمة، وتشبعها بالروح الإسلامية، وتخلصها من جفاوة الألفاظ وغرابتها، وإذا ما تأمّلنا المديح في هذه المرحلة وجدناه قد بقي بمعانيه التّقليديّة؛ فقد ظلّ الشّعراء يمدحون بالقيم الإيجابيّة، كالشّجاعة والكرم وغير ذلك، ولكن أضيف إليها المديح بالإيمان واتباع الخير والتزام تعاليم الدّين الجديد.

أما الفخر فقد استمرّ في هذه المرحلة بنوعيه الذّاتي والجماعي؛ فالفخر الذّاتي اعتمد على القيم الإيجابيّة الموروثة من شجاعة وكرم وعفّة ونصرة للمظلوم، وإغاثة للملهوف، ويضاف إلى ذلك الافتخار بالإيمان والحرص على التّقوى، والمشاركة في الجهاد، والخوف من النّار، يقول النّابغة الجعديّ:

---

1 - القَعْبُ: القَدَح الضَّخْمُ الغلِيظُ، وقيل قَدَح من خَشَب مُقَعَّر.

2 - الهَجِينُ: العربيّ ابنُ الأَمة.

3 الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ، 377/1 .

4 - ديوان كعب بن مالك الأنصاري، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1386هـ، 1966م، 200.

أقيم على التّقوى وأرضى بفعلها * و كنت من النّار المخوفة أوجرا[1]

كما افتخر حسان بلسانه القاطع لألسنة شعراء قريش، وبعظمة شاعريّته التي تشبه بحراً لا تستطيع الدّلاء أن تعكره، فقال:

لساني صارمٌ لا عيب فيـــــهِ * وبحري لا تكـــــــــدِّرهُ الدِّلاءُ[2]

وأمّا الفخر الجماعي، فقد كان بالإيمان بالله وبالرسّول وبالدّين وبالأمّة التي بدأت تولد، يقول حسّان بن ثابت:

عَدِمْنَا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْهَـــــــا * تُثِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُهـــــــــا كَدَاءُ[3]

وأمّا الهجاء، فقد استمرّ معتمداً على ذمّ القيم السّلبيّة، كالبخل والجبن، وبالحرمان من القيم الإيجابيّة، كالكرم والشّجاعة؛ فحسّان في هجائه قدّم المعاني المألوفة في الهجاء، وأضاف إليها بعض المعاني الجديدة التي تسخر من قريش، لأنّهم أهل كفر وشرّ، وأنّهم بعيدون عن الإيمان والتّقوى والخير، فقال يردّ على شاعرهم :

أتهجوه ولستَ له بكفـءٍ * فشرّكما لخيركما الفداءُ[4]

وأما الرّثاء، فقد استمرّ الشّاعر يرثي بإظهار الصّفات الحسنة للمرثيّ، وإبعاد الصّفات السّيّئة عنه، وإبداء الحزن والألم نحوه، إلا أنه اصطبغ بالصبغة الإسلامية في ألفاظه ومعانيه، وبدا فيه التسليم لقضاء الله وقدره، يقول حسان بن ثابت في رثاء النبي :

فَبُورِكتَ، يا قبرَ الرّسولِ وبورِكتْ * بلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرّشِيدُ المُسَـــدَّدُ

---

1 – ديوان النابغة الجعدي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص56 . والأوجر: الخائف المذعور.

2 – ديوان حسان بن ثابت، 21.

3 – نفسه، 19.

4 – نفسه، 20.

إمامٌ لهمْ يهديهمُ الحقَّ جاهـــداً * معلمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يسعدوا[1]

4-ظهور المدائح النبوية، كما فعل حسّان بن ثابت، فقد مدح الرّسولﷺ بالجمال المطلق والعظمة المتناهية... ومن أحسن ما قال:

وأحسن منـــك لم ترَقطُّ عينـــي * وأجمل منك لم تلدِ النّساءُ

خُلِقتَ مبرّأً من كلّ عيـــــب * كأنّك قد خُلِقتَ كما تشاءُ[2]

5- شيوع المعجم القرآني في الشعر، فضلا عن المعاني والقيم الرفيعة التي بثها الإسلام، كقول حسان في الكفار الذين قصدوا المدينة في غزوة الأحزاب:

حتّى إذا وَرَدُوا المَدينةَ وارتَجَوْا * قَتْلَ النّبيّ وَمَغْنَمَ الأسْلابِ

وَغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بأيْـدِهِـــمْ * رُدوا بغيظهمِ على الأعقابِ

بهُبُوبِ مُعصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ * وجنودِ ربكَ سيدِ الأربـــابِ

وكفى الإلهُ المؤمنينَ قتالـــــهمْ * وَأثَابَهُمْ في الأجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ[3]

6- بساطة الأسلوب وعذوبته؛ فقد اختفت الخشونة والقسوة، وأصبحت الصياغات سلسة؛ يقول الثعالبي: كانت أشعار الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين"[4].

رابعا-حالة الشعر في صدر الإسلام:

---

1 - ديوان حسان، 61.

2 - نفسه، 21.

3 - نفسه، 23.

4 - يتيمة الدهر، 26/1.

زعم بعض المؤرخين والباحثين أن الشعر في عصر صدر الإسلام قد ضعف وأصابه الفتور، تجسيدا لقول ابن سلام: "فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولَهَت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يؤُولوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب"[1].

والدليل الآخر الذي استندوا إليه في قلّة الشعر وضعفه، هو قول ابن خلدون الذي بناه على رأي ابن سلاّم: "انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام، لِما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن الكريم ونظمه، فأُخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم زمانا، ثم استقر ذلك، وأونس الرشد من الملة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره، وسمعه الرسول ﷺ وأثاب عليه، فرجعوا إلى ديدنهم ..."[2].

وهناك رأي آخر يؤكد ضعف الشعر مستندا إلى قول الأصمعي في شعر حسان الإسلامي: " الشعر (نكد) إذا أدخلته في باب الخير لان وضعف، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان قد علا في الجاهلية، فإذا دخل في خير الإسلام لان وضعف ..."[3] .

وقد بالغ بعض الدارسين حتى استحال عصر صدر الإسلام عندهم إلى عصر ركود أدبي، والحقيقة الواضحة أن الإسلام لم يحمل العرب على الانشغال عن الشعر وروايته، فلم يتركه العرب، لما له من سلطان على نفوسهم[4].

---

1 – طبقات فحول الشعراء، بن سلّام الجمحي، ص 11.

2 – تاريخ ابن خلدون، 803/1.

3 – تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس، ص50.

4 – شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، النعمان عبد المتعال القاضي، كتبة الثقافة الدينية، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 155.

أما أن شعر حسان قد ضعف، في الإسلام عما كان عليه في الجاهلية، فأمر يحتاج إلى دليل؛ فشعره الذي قاله قبل الإسلام لم يكن على نمط واحد، من حيث الإبداع والجودة، وكذلك كان شعره الإسلامي متفاوتا بين الجدة والإبداع والرقة والسهولة، وكذلك كل الشعراء، ولا دخل للإسلام في ذلك، ولا يمكن أن نغفل كثرة الوضع، فربما كان ذلك الشعر الضعيف موضوعا، ولا ننسى أن عددا من قصائده في الإسلام كانت ارتجالية، يرتجلها ردا على شاعر قبيلة من القبائل، وهذا الارتجال قد يبدع فيه حسان أو قد لا يتجاوز فيه النظم والرد على المشركين، وفي هذه الحالة قد يصيب فيها حسان في الناحية الفنية وقد يخطئ...

والحاصل أن الإسلام لم يقف من الشعر موقفًا عدائيًّا، ولم يحاول أن يحمل العرب على الانشغال عنه، وإنما كان موقفه منه كموقفه من كل مظاهر الحياة المتخلفة عن الجاهلية؛ إذ حاول أن ينفي عنها طوابعها التي لا تتلاءم مع الدعوة الإسلامية، ثم يدفعها للانسياق في إيحاءات الحياة الإسلامية ومتطلباتها، في نطاق من تعاليم الدين الجديد.

خامسا-أبرز شعراء الفتوح الإسلامية:

لقد شارك في الفتوح عدد كبير من الشعراء القدامى من أمثال عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وعبدة بن الطبيب، وأبي محجن الثقفي، وربيعة بن مقروم الضبي، وأبي ذؤيب الهذلي، وعمرو بن شأس الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي، وعروة بن زيد الخيل الطائي، والنابغة الجعدي، والشماخ، والحطيئة[1]، كما شارك أيضا عدد آخر من الشعراء بدءوا يظهرون على مسرح الشعر، وإن كانت أدوارهم لا تسمو إلى أدوار الشعراء القدامى.

1 - شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، 163.

ويدهش الباحث أمام كثرة الشعراء من هذا القبيل، حتى ليخيل إليه أن الفاتحين جميعًا قد استحالوا شعراء[1]، ومن هؤلاء الأسود بن قطبة التميمي، والقعقاع بن عمرو، وأخوه عاصم، وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي، والأعور العبدي الشني، ونافع بن الأسود بن قطبة التميمي، وضرار بن الخطاب، وعمرو بن مالك الزهري، وكثير بن الغريزة النهشلي، وغيرهم[2].

1 – نفسه، ص 175.

2 – نفسه، ص175.

للتطبيق:

1- قال حسان بن ثابت:

2- قال كعب بن زهير:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ * مُتَيَّمٌ إِثرَها لَـــــم يُفدَ مَكبـــولُ[1]

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا * إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ[2]

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً * وَما مَواعيـــــدُها إِلّا الأَباطيـــلُ

أَمسَت سُعــادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها * إِلّا العِتـــــاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ[3]

يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيــها وَقَولُهُـم * إِنَّكَ يَا بنَ أَبي سُلمـــــــى لَمَقتولُ

وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنــتُ آمُلُـــــهُ * لا أُلفِيَنَّـــكَ إِنّي عَنكَ مَشغـــولُ

---

[1] – بانت: فارَقَت، يقال: بانَ يبين بينا وبينونة، إذا فارق فراقا بعيدا. والتَّبَلُ: الوَغَمُ في القلبِ، يُقَالُ: تَبَلَت فلانة فُلانا، إذا تيَّمَته، كأنَّها أصابتْ قَلْبَهُ بتبَلٍ، أيْ: ذهلٍ، والمُتَيَّمُ: المُسْتَعْبَدُ، والمكبولُ: المُقَيَّدُ، والكَبَلُ: القيدُ، ويقالُ: كَبَلَهُ كَبْلاً إذا قيَّده. وقولُهُ: لمْ يُفْدَ من الفداءِ، ومعناه: أنّه لمَّا فارقته هذهِ المرأة، وتبَلَتْ قلْبَهُ وتيَّمَتْه صار بعْدها كأسير محبوس لمْ يُفْدَ بفِدَاءٍ يَفُكُّهُ من الأسرِ، فهوَ باقٍ على حالةِ الأسرِ.

[2] – الأغنُّ: من الغزلانِ وغيْرِها: الذي في صوْتِهِ غُنَّةٌ، والغنَّةُ: صوتٌ يخرجُ من الخياشيمِ، وقولُه: غضيضُ الطرْف؛ أيْ: فاتره. والغضُّ: الكسرُ والفتور، وغضيضٌ بمعنى مغضوضٍ. وقوله: مكحول بمعنى أنَّ حدقة العينِ من الغزال كلِّها سوداءُ ليس فيها بياض، ومعناه أنّه يُشَبِّهُ المرأةَ بالغزال.

[3] – العِتَاق: جمعُ عتيق، و نجيبات جمعُ نجيبَة، والعتيقُ: الكريمةُ من الإبلِ أو الخيل وغيرِهما، ويُقال: وجه عَتِيق .أيْ: كريمٌ حسنٌ كأنَّهُ عُتِقَ من العيوب؛ أيْ: نَجَا منها. والمراسيلُ: جَمْعُ مِرْسَالٍ، وهوَ مِفْعَال منْ قولهم: ناقةٌ رَسْلَةٌ، إذا كانتْ سريعةَ وضعِ اليدَيْنِ في السيرِ، ومعناهُ أنَّ هذهِ الموصوفةَ صَارت بأرض بعيدة لا يَبْلغها إلاَّ الإبل التي هذه صفتُها، و تُبَلِّغُهَا: بمعنى تَبْلغها، كما يقال: مَشَى ومَشَّى.

فَقُلتُ خَلّوا سبيلـي لا أَبا لَكُـــمُ * فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَـــــنُ مَفعولُ

كُلُ اِبنِ أُنثـى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ * يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمـــولُ

أُنبِئتُ أَنَّ رَسـولَ اللَهِ أَوعَدَنـــي * وَالعَفُوُ عِندَ رَســـولِ اللَهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال* قُرآنِ فيها مَواعيـــــظٌ وَتَفصيلُ

لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَـــم * أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّـــي الأَقاويلُ

إِنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضـاءُ بِـــهِ * مُهَنَّدٌ[1] مِن سُيـوفِ اللَهِ مَسلـــولُ

في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم * بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَمـــوا زولـــوا[2]

زَالوا فَما زالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُـــفٌ * عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيـــــلُ[3]

---

[1] – مُهَنَّدٌ: منسوبٌ إلى الهندِ.

[2] – والعُصْبَةُ: الجماعةُ من الناسِ، وقولُهُ: زُولُوا: أرادَ بهِ لِدَارِ الهجرةِ منْ مكَّةَ إلى المدينة.

[3] – أَنْكَاسٌ: جمعُ نَكْسٍ، وهوَ الرجلُ الضعيفُ . والكُشُف: جمعُ أَكْشَفَ، وهوَ الذي لا تُرْسَ ولا سلاحَ معهُ. ومِيلٌ: جمعُ أَمْيَلَ وَمَائِلٍ، وهوَ الكِفْلُ الذي لا يُحْسِنُ الفُرُوسَةَ، أيْ لا يَسْتَوِي في الركوبِ على الفرسِ، والمَعَازِيلُ: مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ أعْزَلُ، إذا لمْ يكُنْ معهُ رمحٌ، أيْ زَالُوا منْ بَطْنِ مكَّةَ وما فيهم منْ صِفَةِ هذهِ التي ذكَرَها، بلْ همْ أقوياءُ ذَوُو سلاحٍ، فُرْسَانٌ عندَ اللقاءِ .

المحاضرة الخامسة

المراثـــــي النبويـــة

تمهيد:

الرثاء هو أحد فنون الشعر العربي البارزة، بل إنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة وحرارة التعبير ودقة التصوير، ويحتفظ أدبنا العربي بتراث ضخم من المراثي منذ الجاهلية إلى يومنا الحاضر.

أولا- تعريف الرثاء:

هو بكاء الميت؛ قال ابن منظور: "رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية، إذا بكاه بعد موته ... ورثوت الميت أيضا: إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعرا"[1].

وقد بين قدامة بن جعفر إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك[2]، وتبعه ابن رشيق فقال: "وليس بين الرثاء والمدح فرق؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل (كان) أو (عدمنا به كيت وكيت) وما يشاكل هذا"[3].

---

[1] – لسان العرب، 309/14.

[2] – نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص33.

[3] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، 147/2.

وقد بين أن "النساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك؛ لِما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة"[1].

والرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي، وهو يأخذ ألوانا ثلاثة:

1- الندب: وهو بكاء الأهل والأقارب إذا عصف بهم الموت.

2- التأبين: وهو ثناء على الميت وتعديد فضائله.

3- العزاء: وهو مرتبة عقلية فوق التأبين، ينفذ فيها الشاعر من حادثة الموت الفردية إلى التفكير فى حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهى به التفكير إلى معان فلسفية عميقة[2].

وقد عرف العرب الرثاء في العصر الجاهلي، إذْ كان الرجال والنساء يندبون موتاهم، ومن أشهرهم الخنساء التي رثت أخاها صخرا، ومتمم بن نويرة الذي رثا أخاه مالكا حين قتل في حروب الردة، وأبو ذؤيب الهذلى الذي عبر عن لوعته لفقد أبنائه حين هلكوا بالطاعون..

وفي صدر الإسلام ظل الرثاء غرضا شعريا، إلا أن العقيدة الجديدة أدخلت عليه تطويرا واضحا، فلم يعد الراثي يذكر ما حظره الإسلام من المعاني التي تتعارض مع ما أمر الله به من الصبر والإيمان بقضاء الله تعالى، كما كانت

---

[1] – السابق، 153/2.

[2] – منقول بتصرف من الرثاء، للدكتور شوقي ضيف، ص 5،6.

مراثي شعراء الرسولﷺ تتضمن معاني الجهاد والإشادة بالبطولة والشهادة في سبيل الله، وتتضمن أحيانًا هجوًا للمشركين وقتلاهم.

رثاء النبي –صلى الله عليه وسلم:

كان لوفاة الرسول ﷺ هزة عنيفة في المجتمع الإسلامي آنذاك، فقد تحولت بيوت الصحابة ومجتمعاتهم إلى مآتم تضجّ بالندب والبكاء، فالْتاعت القلوب وتقرحت المآقي، وانطلقت القرائح تندب فقيد الإنسانية ومعلمها الأكبر ورسولها الأشرف ودليلها الهادي.

وممن رويت عنها أبيات في رثاء الرسول ﷺ ابنته فاطمة، رضي الله عنها، حين قالت:

اغبر آفاق السماء وكــورت * شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة * أسفاً عليـــــــه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربـــها * وليبكه مضر وكـــــل يماني

وليبكه الطود المعظـــم جوه * والبيت ذو الأستار والأركـــان

يا خاتم الرسل المبارك صنــوه * صلى عليك منـــــزل القرآن[1]

وممن رثوا النبي ﷺ أبو بكر الصديق، فقد روى له ابن إسحاق أبياتا، منها:

[1] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 153/2.

أجدك ما لعينك لا تنـــام * كأن جفونها فيها كـــــلام

فجعنا بالنبي وكان فينـا * إماما صادقا نعم الإمـــام

نبي مصطفى بالخير يدعو * كضوء الصبح زايله الظلام [1]

ومما قيل في ذلك عقب وفاته –عليه الصلاة والسلام– قصيدة حسان بن ثابت التي جاء فيها:

ما بال عينك لا تنام كأنمـــا * كحلت مآقيها بكحل الأرمـــــد[2]

جزعا على المهديّ أصبح ثاوياً * يا خيرَ من وطيء الحصى لا تبعد

يا ويح أنصار النبي ورهطـــه * بعد المغيَّب في سواء المسجـــد

أأقيم بعدك في المدينة بينهـــم * يا ويح نفسي ليتنـــــي لم أولد

بأبي وأمي من شهدتُ وفاتـــه * في يوم الاثنين النبـــي المهتـدي

والله أسمع ما بقيتُ بهالـــك * إلا بكيتُ على النبـــــي محمد

صلى الإله ومن يحفّ بعرشـه * والطيبون على المبـــارك أحمد[3]

---

[1] – إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط1، 1422هـ، 2001م، 64/8.

[2] – الأرمد: من بعينه رمد.

[3] – ديوان حسان بن ثابت، ص65.

ومن جميل ما قاله حسان :

نبِّ المساكينَ أنّ الخيرَ فارقهـــــمْ * معَ النبيّ تولى عنهمُ سحـــــرا

من ذا الذي عندهُ رحلي وراحلتـــــي * وَرِزقُ أهْلي إذا لمْ يُؤنِسوا المَطَـرَا

أمْ مَنْ نُعاتبُ لا نخشَى جَنادِعَـــــهُ * إذا اللّسانُ عَتا في القولِ، أوْ عَثَرَا

كانَ الضياءُ، وكان النورَ نتبعـــــهُ * بَعْدَ الإلهِ، وكان السّمْعَ والبَصـرَا

فَلَيْتَنا يوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَـــــــــــدِه * وغيبوهُ، وألقوا فوقهُ المـــــــدرا

لمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنّا بَعْدَهُ أحَـــــــــداً * ولمْ يُعِشْ بعدَهُ أُنْثى ولا ذَكَـــرَا

ذَلّتْ رِقَابُ بَني النَّجّارِ كلّهِـــــــــمُ * وكان أمراً منَ امرِ اللهِ قد قُـدرا[1].

هذه نماذج من قصائد الرثاء للنبي ﷺ، وهي تمثل شدة حرقة الصحابة لفقدهم نبيهم .

[1] – السابق، ص 102.

للتطبيق: قال حسان بن ثابت:

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومعهـــــدُ * منيرٌ، وقد تعفو الرسومُ وتهمـــــدُ

ولا تمّحي الآياتُ من دارِ حرمة * بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

ووَاضِحُ آياتٍ، وَبَاقي مَعَالِـــــمٍ * وربعٌ لهُ فيهِ مصلى ومسجـــــــدُ

بها حجراتٌ كانَ ينزلُ وسطـــها * مِنَ الله نورٌ يُسْتَضَاءُ، وَيُوقَـــــدُ

فَبُورِكتَ يا قبرَ الرّسول وبورِكـتْ * بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرّشِيدُ المُسَـــــدَّدُ

تهيلُ عليهِ التربَ أيدٍ وأعيـــــنٌ * عليهِ، وقدْ غارتْ بذلكَ أسعـــــدُ

لقد غَيّبوا حِلْماً وعِلْماً وَرَحمـــــة * عشية علوهُ الثرى ، لا يوســـَّـدُ

وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبيُّهُـــمْ * وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظهورٌ، وأعضُـــدُ

تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَنهُـــــمُ * وَقَد كان ذا نورٍ، يَغورُ ويُنْجِـــدُ

إمامٌ لهمْ يهديهمُ الحقَّ جاهـــداً * معلمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يســـعدوا

عَفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقبلُ عُذْرَهـــمْ * وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيرِ أجـــودُ

عزيزٌ عليْهِ أنْ يَحِيدُوا عن الهُـدَى * حَريصٌ على أن يَستقِيموا ويَهْتَدوا

فَبَكّي رَسولَ الله يا عَينُ عَبْـــرَة * ولا أعرفنكِ الدهرَ دمعكِ يجمـــدُ

ومالكِ لا تبكينَ ذا النعمة التـــــي * على الناسِ منها سابـــغٌ يتغمدُ

فَجُودي عَلَيْهِ بالدّموعِ وأعْوِلـــــي * لفقدِ الذي لا مثلهُ الدهرِ يوجـــــدُ

وَمَا فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمّـــــد * ولا مثلهُ، حتى القيامـــــــة يفقدُ

معَ المصطفى أرجو بذاكَ جـوارهُ * وفي نيلِ ذاك اليومِ أسعى وأجهدُ [1]

[1] – ديوان حسان بن ثابت، شرحه: عبد أ . مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص60.

المحاضرة السادسة

شعـــــــر النقائـــــــض

تمهيد:

تُمثل النقائض مصطلحا أدبيا لنمط شعري اشتهر في العصر الأموي، وهي عبارة عن معارك شعرية دارت رحاها بين عدد من الشعراء، أبرزهم الأخطل وجرير والفرزدق؛ فقد كان الشاعر يكتب قصيدة في هجاء آخر، فيرد الشاعر المهجو ناقضا هذه القصيدة بقصيدة أخرى، يلتزم فيها وزن قصيدة خصمه وقافيتها.

أولا-تعريف النقائض:

1-النقائض في اللغة: جمع نقيضَةُ، والنَّقِيضةُ: مصطلح مأخوذ في الأصل من نقَض البناء، إذا هدَمه؛ قال الشاعر:

إنِّي أَرى الدَّهْرَ ذا نَقْضٍ وإمرارِ[1]، أَي: ما أَمَرَ[2]، عادَ عليه فنقَضه، وكذلك المُناقَضةُ في الشِّعْر، يَنْقُضُ الشاعر الآخِر ما قاله الأَوّل، والنَّقِيضة الاسم، ويجمع على النَّقائض، ولذلك قالوا: نَقائضُ جرير والفرزدق[3].

ب- في الاصطلاح: النقيضة هي أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا، مفتخرا، ملتزما البحر الذي اختاره الأول، والقافية، وحرف الرويّ.

إذاً فلا بد من وحدة الموضوع، ووحدة البحر، والقافية والروي[4].

---

[1] – ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ، 1986م، ص240.

[2] – يُقَال: أَمر الْأَمر: أحكمه، ينظر: المعجم الوسيط، 862/2.

[3] – لسان العرب، 242/7 .

[4] – تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1954م، ص17.

ثانيا- نشأة شعر النقائض:

نشأت النقائض مع نشأة الشعر، وتطورت معه، وإن لم تُسمَّ به مصطلحًا، فقد كانت تسمى في العصر الجاهلي حينًا بالمنافرة[1]، وأخرى بالملاحاة[2]، وما إلى ذلك من أشكال النفار، وكانت في البداية لا تلتزم إلا بنقض المعنى والمقابلة فيه، مما جعلها لا تبلغ درجة النقيضة التامة، وإن لم تبعد عنها كثيرا، ولاسيَّما في جانب القافية.

ولاشك أن النقائض نشأت مثل أي فن من الفنون ضعيفة مختلطة، وبمرور الزمن أخذت تستكمل صورتها الأخيرة، حتى قويت واكتملت واتضحت أركانها وعناصرها الفنية، فوصلت على يد الفحول من شعراء بني أمية إلى فن مكتمل الملامح تام البناء، واتخذت الصورة النهائية للنقيضة ذات العناصر المحددة، التي عرفت بشكلها التام، فيما عُرف بنقائض فحول العصر الأموي، وهم جرير والفرزدق والأخطل.

وهكذا فإن النقائض في العصر الأموي كانت استمرارا للهجاء الذي عرف في العصر الجاهلي بين قبيلتين أو أسرتين، فينتصر شاعر لقومه، فيرد عليه آخر، ثم يلتحم الهجاء ويستطير[3].

ثالثا-الأسباب التي أدت إلى ازدهار النقائض في العصر الأموي:

هناك أسباب عديدة أدت إلى ازدهار النقائض في هذا العصر منها:

---

[1] – المُنافرة: أن يَفْتخر الرَّجُلان، كُلّ واحد منهما على صاحبه، ثم يحكِّما بينهما رجلا. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، 151/15.

[2] – أصل الملاحاة: المباغضة والملاومة، ثم كثر ذلك، حتى جعلت كل ممانعة ومدافعة: مُلاحاةً، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 16/2.

[3] – تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص 363 .

1-العوامل السياسية:

لقد أثرت الظروف السياسية في تحديد مواقف الشعراء، فتضاربت آراؤهم بسبب تعدد الأحزاب السياسية التي نشأت في العصر الأموي، إضافة إلى تشجيع الحكام هذا اللون من الشعر، لصرف الناس عن الاهتمام بالحكم والسياسة، إضافة إلى محاولة بعض الشعراء التقرب من الحكام بهجاء خصومهم، طلبا للجاه، أو تكسبا للمال[1].

2-العوامل الاجتماعية:

إن الفتوحات الإسلامية الكبيرة في تلك الفترة أدت إلى دخول المدنية والتمدن إلى المجتمع البدوي، الذي رافقه دخول الطرب والغناء واللهو إلى مكة والحجاز، أما الكوفة والبصرة، فقد تمسكتا بالبدويــة، مما جعل سكان هذه المناطق يجدون في النقائض وسيلة لقضاء أوقات الفراغ والتسلية، بما يلقيه الشعراء من شعر[2].

3-العوامل العقلية:

من أهم العوامل العقلية التي تدخلت في صنع النقائض نمو العقل العربي وتوسع مخيلته، وخاصة في الحوار والجدل، وعلى ضوء ذلك أخذ شعراء النقائض يتناظرون في أحوال القبائل ومفاخرها ومثالبها، وكأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية[3].

رابعا-لمحة عن حياة بعض شعراء النقائض:

هذه لمحة موجزة عن أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي:

---

[1] – السابق، ص 363.

[2] – ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط11، ص 241.

[3] – تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص 242.

1- الفرزدق:

هو همام بن غالب بن صعصعة الدارمي، وينتهي نسبه إلى زيد بن مناة بن تميم، ولقب بالفرزدق لغلظه وقصره، ويكنى أبا فراس، وهو أشعر شعراء عصره في الفخر؛ فقد كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم، يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية، وأشعر شعراء وقته، فقال: أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس، وأضربهم مثلاً طرفة، وأما شعراء الوقت، فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم[1].

كان يقيم في العراق، وله ديوان اشتهرت منه النقائض، وأغراض شعره المدح والرثاء والفخر والهجاء والوصف، توفي في البصرة سنة 110هـ[2].

2- جرير:

هو جرير بن عطية بن حذيفة، وهو من بني كليب بن يربوع، ولد بعد نيف وثلاثين عاماً من الهجرة، يكنى أبا حزرة، وهو من أشد الشعراء الهجائين، كان يقول: "أنا لا أبتدي، ولكن أعتدي"[3]، وقد نشأ جرير في بادية نجد وعاش فيها وتعلم الشعر مبكرا على لسان جده حذيفة بن بدر، وكان على جرير أن يذود عن شرف وكرامة قبيلته، فاضطر أن يفني عمره في مصارعة الشعراء وهجائهـم، حتى قيل إنه هجى وهزم ثمانين شاعرًا في عصره[4]، ولم يثبت منهم إلا الأخطل والفرزدق، وقد توفي في اليمامة سنة 110هـ[5].

---

[1] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، 96/1.

[2] – ينظر: الشعر والشعراء ابن سلام، 462/1.

[3] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 458/1.

[4] – البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت، دط، دت، 265/9.

[5] – ينظر: الحيوان، الجاحظ، 446/7.

3- الأخطل:

هو غياث بن غوث من بني تغلب، يكنى أبا مالك، وكان يشبّه بالنابغة الذبياني، وقد ولد في الحيرة[1].

والأخطل لقب غلب عليه، والسبب في ذلك أنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام إنك أخطل"[2]، وكان الأخطل يمدح بني أمية؛ فقد مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم خلفاء بني مروان، حتى توفي[3].

قال أبو عمرو: سئل الأخطل: أيّكم أشعر؟ قال: "أنا أمدحهم للملوك، وأنعتهم للخمر والحمر[4]، وأما جرير، فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا"[5].

وكان جرير يقول: "النصراني (الأخطل) أنعتنا للخمر والحمر، وأمدحنا للملوك، وأنا مدينة الشعر"[6].

قال مسلمة بن عبد الملك: "ثلاثة لا أسأل عنهم، أنا أعلم العرب بهم: الأخطل والفرزدق وجرير، فأمّا الأخطل فيجيء سابقا أبدا، وأمّا الفرزدق فيجيء (مرّة سابقا ومرّة ثانيا)، وأمّا جرير، فيجيء سابقا مرّة وثانيا مرّة وسُكّيتا[7] مرة"[8].

له ديوان فيه هجاء ومدح وفخر ووصف وخمر، وهو أشبه بشعراء الجاهلية من حيث الجزالة، توفي سنة 90 هـ[9].

---

[1] – الأغاني، الأصبهاني، 290/8.

[2] – نفسه، 290/8، يقال: رجل أخطل اللسان: مضطربه، وبه لقّب الأخطل الشاعر، وقيل: إنه من الخطل في القول: أي الفساد.

[3] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 473/1.

[4] – يعنى النساء.

[5] – نفسه، 459/1.

[6] – نفسه، 459/1.

[7] – السُّكّيت: الذى يجيء فى آخر الحلبة آخر الخيل.

[8] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 473/1.

[9] – الحيوان، الجاحظ، 437/7.

4-نماذج من شعر النقائض:

بدأ الهجاء بين جرير والفرزدق حين استعان أحد الشعراء من قبيلة الفرزدق به للرد على جرير، فقام الفرزدق بالانتصار لصاحبه، فرد عليه جرير واشتعلت بينهما نار هجاء لم تنطفئ إلا بموت الفرزدق، وقد كان الهجاء بينهما يركز على ذم القبيلة والنسب وتحقير صفات الخصم... ومن قول الفرزدق في جرير:

ووجدت قومك فقّأوا من لؤمهم* عينيك عند مكـــارم الأقـوام

صغرت دلاؤهم فما ملأوا بـها * حوضا، ولاشهدوا عراك زحام[1]

فأجابه جرير:

مهلا فرزدق إن قومك فيهـــمُ* خور القلوب وخفة الأحلام

الظاعنون على العمى بجميعهم* والنازلـون بشر دار مقـام[2]

أما الأخطل، فقد أرسل إليه أحد أسياد قبيلة مجاشع (قبيلة الفرزدق) بألف درهم وكسوة وبغلة، لكي يدعم الفرزدق في حربه ضد جرير، فقال قصيدة يهجو جريرا ويفضل الفرزدق عليه منها:

أجرير إنك والذي تسمـــــو لــه* كأسيفة[3] فخرت بجِدج[4] حصان

في دارم[5] تاج الملوك وصهرهـا * أيام يربوع[6] مع الرعيـــــــان

---

[1] – ديوان الفرزدق، شرحه الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م، ص609.

[2] – ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ،1986م، ص453.

[3] – الأسيفة: الأَمة والجارية.

[4] – الجِدْجُ: بكسر الحاء، هو مرْكَب من مراكب النساء نحو الهودج. يقصد الأمة سارت في هودج سيدتها، وتباهت بذلك على النساء.

[5] – دارم: قوم الفرزدق.

[6] – يربوع: قوم جرير.

فأجابه جرير[1]:

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى * ألا تجوز حكومة النشوان[2]

فدعوا الحكومة لستم من أهلها * إن الحكومة في بني شيبان

وهكذا انتشر شعر النقائض بين الشعراء، وكانت له سوق رائجة أيام دولة بني أمية.

[1] – ديوان جرير، ص 471.

[2] – ذو العباءة: أراد به الأخطل. بشر: هو ابن مروان، يشير إلى حكم الأخطل عند بشر بن مروان بتفوق الفرزدق على جرير.

للتطبيق:

من نقائض الفرزدق وجرير:

قال الفرزدق:

إن الذي سمك السمـــــاء بنى لنـــا * بيتا دعائمـــه أعز وأطـــــــــول
بيتا بناه لنا المليـك وما بنـــــى * حكم السماء فإنـــــــه لا ينقـــل
بيتا زراه محتـــــب بفنائـــــه * ومجاشع وأبـــــو الفوارس نهشـل
لا يحتبي بفناء بيتـــــك مثلهـم * أبدا إذا عُـــدّ الفعال الأفضـــــل
ضربت عليك العنكبوت بنسجـها * وقضـــى عليـك به الكتاب المنـــزل
وإذا بذخت فرايتـــى يمشـــى بهـا * سفيان أو عـدس الفعال وجنـــــدل
الأكثـــرون إذا يعـــد حصـاهمُ * والأكرمـــــــــون إذا يعـــد الأول
إن الزحـــام لغيـــركم فتحيَّنـــوا * وِرد العشـــي إليه يخلـــو المنهل
حلل الملوك لباسنـــا في أهلنـــا * والسابغات إلى الوغى نتسربـــــــل
أحلامنـا تـــزن الجبـــال رزانة * وتخالنـــا جِنًّـــا إذا ما نجهـــــل
فادفع بكفـــك إن أردت بنـــاءنا * ثهلان ذا الهضبـــات هل يتحلحل؟
إنا لنضـــرب رأس كـــل قبيلـة* وأبوك خلـــــف أتانـــه يتقمَّـل
وشغلت عن حرب الكرام وما بنـوا* إن اللئيـــم عن المكـــــارم يشغل

فرد عليه جرير:

أعددت للشعراء سمـــا ناقعـــا[1] * فسقيـت آخرهـــم بكـأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمـــي* وضغا البغيث جدعت أنف الأخطل
أخزى الذي سمك السمـــاء مجاشعا * وبنـى بناءك فى الحضيض الأسفل
ولقـد بنيت أخس بيت يبتنـــــــى * فهدمـــت بيتكـــمُ بمثلـــــــيْ يذبل[2]
إنى انصببت من السمـــاء عليكـــمُ * حتى اختطفتك يا فـــرزدق من عل
أحلامنا تـزن الجبـــال رزانـــــه * ويفـــوق جاهلنا فعـــال الجهّـــل
إن الذي سمـــك السمـــاء بنى لنا * بيتا عـــلاك فمـــــاله من منقـــل

[1] – أي شِعرًا قاتلا .

[2] – يذبل: اسم جبل في وسط نجد.

المحاضرة السابعة

الشعر العذري والشعر العمري

تمهيد:

حين ظهرت الدعوة الإسلامية انشغل الناس بالدين الجديد، ثم بالفتوحات، ولم يكن لشعر الغزل التفات إلا نادرا، كما حدث عند كعب بن زهير، حين قدم على النبيﷺ معلنا إسلامه، فقال قصيدته التي يفتتحها بالغزل:

بانَتْ سُعادُ فَقَلبي اليومَ مَتْبولُ * مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ[1]

وهذا الافتتاح الغزلي قد يكون مجرد تقليد سار عليه بعض الشعراء الذين يفتتحون قصائدهم بهذا النوع من الشعر، أكثر من عده شعرا غزليا حقيقيا، ثم إن الشاعر قال قصيدته وهو يعلن إسلامه، مما يدل على أنه مازال متأثرا بالجاهلية.

وهكذا فإن شعر الغزل نام نوما عميقا، ولم يستيقظ إلا بعد أن انتقلت الخلافة إلى دمشق، وأصاب الحجاز الترف والدعة، فهب من جديد متأثرا بعوامل عدة[2].

وقد عَرف الأدب العربي في هذه الفترة نوعين من الغزل، أحدهما: يسمى الغزل العذري، والثاني: يسمى الغزل الصريح، أو الماجن، أو العمري، نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة .

أولا–مفهوم الغزل:

هو مصدر (غزل)؛ يقال: غزلت المرأة القطــن والكتان وغيرهما، تغزله غزلا، وكذلك اغتزلته، وهي تغزل بالمغزل[3]، فالغزل استعمال مجازي، مأخوذ من هذه المادة اللغوية، فكما تدير الغازلة مغزلها لتغزل به القطن ونحوه، كذلك يدير الشاعر مغزل فنه، لاستماله المرأة واستهوائها؛ قال الزجاجي:"أصل المغازلة:

---

[1] – –بانت: فارقت – متبول: ذليل سقيم– متيم: ذاهل العقل – لم يفد: لم يجد من يفديه – مكبول: أسير مقيد.

[2] – الغزل، محمد سامي الدهان، ص32، دار المعارف، ط3، ص32.

[3] – ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، 90/30، ولسان العرب، 491/11.

الإدارة والفتل، ومنه سمي المغزل، لاستدارته، وسرعة دورانه، وبه سمي الغزال، لسرعة عدوه، وسميت الشمس الغزالة، لاستدارتها وسرعتها"[1].

وهناك عدة ألفاظ بمعنى الغزل منها: النسيب، التشبيب، العشق، الهوى، الصبابة، الهيام، الشغف...

ثانيا- الغزل العذري:

1- تعريفه:

هو من الفنون الشعرية التي تنمو فيها حرارة العواطف الطاهرة العفيفة، وآلام الفراق والبعد عن الحبيبة، وهذا الغزل يبتعد عن وصف المحاسن الجسدية لدى المرأة، بل يقتصر على إظهار المشاعر الجيّاشة تجاهها، وهو ينسب إلى بني عذرة، أحد قبائل قضاعة، والتي كانت تنزل في وادي القرى شمالي الحجاز، لأن شعراءها أكثروا من التغني به ونظمه[2].

2-خصائص الغزل العذري:

من أهم خصائصه ما يلي:

أ-الابتعاد عن الإباحية في وصف المحاسن، وقد ظهر ذلك في البيت الشعري لقيس بن الملوح (مجنون ليلى):

سقتني شمسٌ يُخْجِلُ البدرَ نورُها * ويكسفُ ضوءَ البرقِ وهو بروق[3]

ب- اعتمد الشعراء أسلوب إظهار المعاناة والألم نتيجة البعد عن الحبيبة والفراق بينهما، فقد قال الشاعر قيس:

فإن تكُ ليلى بالعراق مريضة * فإنّيَ في بحر الحتوف غريق[4]

---

[1] - المخصص، ابن سيده، 375/1.

[2] - تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، 359/2.

[3] - ديوان قيس بن الملوح، مجنون ليلى، دراسة: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 1999م، ص66.

[4] - ديوان قيس بن الملوح، ص66.

ج- تغزّل الشعراء بمحبوبة واحدة طوال حياتهم، فكان هذا دليلاً على وفاء الشاعر وصدق مشاعره، ويمكن تأكيد ذلك من خلال قول جميل بن معمر:

فلربّ عارضة علينا وصلهـــــا * بالجدّ تخلطـــــه بقول الهـازل

فأجبتها بالرفق بعد تستّـــــر * حبّي بثينة عن وصالك شاغلـي

لو كان في صدري كقدر قلامـة * فضل وصلتـك أو أتتك رسائلـي[1]

د- الوجدانية العالية في أشعار الغزل العذري؛ فالشاعر قيس بن الملوح يعبر عما يجيش في داخله من حرقة وحسرة، وذلك حين قضى الله بأن تكون ليلى من نصيب غيره؛ يقول:

خليلـــيَّ لا واللهِ لا أملكُ الذي * قضى اللهُ في ليلى ولا مَا قضى لِيَا

قضَاهَا لِغيري وابتلانـــي بِحُبِّها * فهلا بشيءٍ غير ليلـــــى ابتلانيا[2]

ثالثا-الغزل العمري:

1- تعريفه:

هو ذلك الشعر الذي انتقل بالغزل من شكوى الغرام، ولوعة الفراق، إلى الوصف والغزل الحسي، ويعتبر نقيضا للغزل العذري، وقد نُسب الشعر العمري للشاعر عمر ابن أبي ربيعة الذي اشتهر من بين الشعراء العرب بالغزل بزوجات الأمراء الخلفاء، وله في ذلك قصص كثيرة، كما أن له قصائد تتحدث عن مغامراته الغرامية، وطريقة تصيّده النساء أثناء موسم الحج[3].

---

[1] - ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص107.

[2] - ديوان قيس بن الملوح، 122، 123.

[3] - الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، 87/1 .

2-حياة عمر بن أبي ربيعة:

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة القرشي المخزومي؛ كان كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة، وله في ذلك حكاياتٌ مشهورة مذكورة، كان وسيماً، بهيَّ الطَّلْعة، نشأ في أحضان أمه، يساعدها على إدارة أملاك أبيه الواسعة، وترعرع تحوطه رعاية أُمّه، فأتيح له الاختلاط بالنساء والجواري من دون تحرج[1].

وقد وفد عمر على عبد الملك بن مروان وامتدحه، فوصله بمال عظيم لشرفه وبلاغة نظمه[2].

وقد روى ابن خلِّكان: أن الحسن البصريﷺ كان إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطابﷺ يقول: "أي حق رُفع، وأي باطل وُضع" [3].

وقَالَ ابْن قُتَيْبَة: "كان عمر فاسقا، يتعرّض لنساء الحاج، ويشبب بِهن، فنفاه عمر ابن عبد العزيز إِلَى (دهلك[4])، ثمّ غزا في البحر، فأُحرقت السّفينة التي كان فيها، فاحترق هو ومن كان معه"[5]، وكانت وفاته سنة 93هـ، وقد قارب السّبْعين أَو جاوزها، وقيل عَاش ثمانِين سنة[6].

---

[1] – الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، 2000م، 22/ 304.

[2] – تاريخ الإسلام، الذهبي، 183/7.

[3] – وفيات الأعيان، ابن خلكان، 439/3.

[4] – مجموعة جزر في البحر الأحمر، حوالي 126 جزيرة، تقع أمام الشواطئ الأريترية، وأكبرها: دهلك الكبرى ونهلق.

[5] – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، 33/2.

[6] – نفسه، 33/2.

3-بعض شعراء الغزل العمري:

شعراء الغزل الإباحي كثيرون؛ فقد ذاع صيتهم، وانتشرت أخبارهم، وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والعَرجي، وهذا مختصر لحياة الأحوص والعرجي.

أ-الأحوص:

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة: شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، كان معاصرا لجرير والفرزدق، وهو من سكان المدينة، وفد على الوليد بن عبد الملك فأكرمه، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى (دهلك)، وكان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه، فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، وقد أطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق فمات فيها، وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه، ولقب بالأحوص، لضيق في مؤخر عينيه[1].

ب-العَرجي:

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، شاعر غزل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أَبي ربيعة، كان مشغوفا باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين، وقد لقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) قرب الطائف، وقد سجنه والي مكة، ولم يزل في السجن إلى أن مات، نحو سنة 120هـ، وهو صاحب البيت المشهور، من قصيدة:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر[2]

---

[1] – الأعلام، الزركلي، 115/4، 116.

[2] – الحيوان، الجاحظ، 469/7، والأعلام، الزركلي، 109/4.

4-خصائص الغزل العمري (الصريح):

هناك عدة خصائص تميز شعر الغزل الصريح، منها:

أ- عدم ثبات الشعراء على امرأة واحدة، مما دعا إلى كثرة الأسماء عندهم، فعمر ابن أبي ربيعة مثلا، تغزل بعدد كثير من النساء، مثل زينب بنت موسى، وابنة عمها نُعم، والثريا بنت علي بن عبد الله، وليلى بنت الحارث، وغيرهن[1].

ب- كثرة الرسل، والإشارة إلى الرسائل الغزلية مع النساء، وقد نمت هذه الظاهرة واتسعت بعد ذلك بشكل أوضح في الغزل العباسي.

ج- الإجادةُ في وصفِ المرأة ومميزاتها، فالشعر يصف القامة والمشية والبشرة وأعضائه الجسم... وقد تخصص عمر بن أبي ربيعة بصفة في هذا الفن، فكأنه رسام ماهر، يرسم صورة بارعة، تحدث أثرا قويا في نفس من يشاهدها[2].

د- تغزل الشاعر بنفسه، يقول عمر:

بينما ينعتنـــي أبصرننـــي * دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى؟ * قالت الوسطى نعم، هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتهـــا * قد عرفناه، وهل يخفى القمر[3]

هـ- الحوار ضمن القصيدة:

يقول عمر بن أبي ربيعة:

---

[1]- الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، محمد سامي الدهان، دار المعارف، ص66.

[2] - نفسه، ص66.

[3] - ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص165.

قالَت ثُرَيّا لَأَترابٍ لَها قُطُفٍ * قُمنَ نُحَيِّ أَبا الخَطّابِ مِن كَثَبِ[1]

فَطِرنَ حَبّاً لِما قالَت وَشايَعَها * مِثلُ التَماثيلِ قَد مُوِّهنَ بِالذَهَبِ[2]

و- الافتتان في رصد مشاعر المرأة وعلاقتها العاطفية بالرجل؛ يقول عمر بن أبي ربيعة، وهو يصف ذلك:

خَبَّروها أنني قد تزوجْتُ * فظلتْ تكاتِـمُ الغيظ ســـــــرّا

ثمّ قالتْ لأخْتِها ولأخــرى* جَزَعاً: لَيْتَـــــهُ تَزَوَّجَ عَشْـــــرا

وأشارتْ إلى نساءٍ لديهــا * لا تَرى دونهُـــنّ للسرِّ سِتْـــــرا

ما لقلبي كأنه ليسَ منـي؟ * وعظامـــــــــي إخَالُ فيهن فَتْرا؟

مِن حَديثٍ نَمَى إليّ فظيعٍ *خِلْتُ في القلـبِ من تلظيه جَمْرا[3]

وهكذا فإن شعر الغزل بنوعيه: البدوي والحضري، أو العفيف والصريح، أو العذري والعمري، قد أخذ جانبا غير قليل من اهتمام الناس في العصر الأموي، وخصوصا في الحجاز، بعد أن استقرت الأوضاع، وهدأت الأمور، وفتحت البلاد، وودع الناس شظف العيش إلى رغده، وشدته إلى رخائه.

---

[1] – أتراب: ج ترب، وهو الصديق في نفس العمر– قطف: ج القطوف: وهي البطيئة في السير، القصيرة الخطا. كثب: قرب.

[2] – ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص70 .

[3] – نفسه، ص192.

للتطبيق:

1-نموذج عن الغزل العذري:

قال جميل بن معمر:

أبثين انك قد ملكت فأسجحي[1] * وخذي بحظك من كريم واصل

فلرب عارضة علينا وصلـــها * بالجد تخلطه بقول الهـــازل

فأجبتها بالقول بعد تستـــــر * حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي كقدر قلامـــة[2] * فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي

منيتني فلويت[3] ما منيتنـــــــي* وجعلت عاجل ما وعدت كآجل

وأطعت فيّ عواذلا[4] فهجرتنـــي* وعصيت فيك وقد جهدن عواذلي

وتثاقلت لما رأت كلفـــــي بها* أحبب الي بذلك من متثاقـــل

ويقلن انك يا بثين بخيلـــــــة* نفسي فداك من ضنيـــن باخل

ويقلن انك قد رضيت بباطـــل* منها فهل لك في اجتناب الباطل

حاولنني لأبت[5] حبل وصالكـــم* مني ولست وإن جهـدن[6] بفاعل

---

[1] – أسجحي : أحسني العفو.

[2] – قلامة: ما يسقط من الظفر بعد تقليمه .

[3] – لويت: أخلفت .

[4] – العواذل: الحسّاد و الوشاة.

[5] – أبتّ: أقطع

[6] – جهدن: بذلن الجهد و المشقة .

يعضضن من غيظ عليّ أنامــلا* ووددت لو يعضضن صم جنادل[1]

ليزلن عنك هواي ثم يصلننـــي* فاذا هويت فما هـــــواي بزائل

2- نموذج عن الغزل العمري: قال عمر بن أبي ربيعة:

هَيَّجَ القَلْبَ مَغَانٍ وَصِيَرْ * دارساتٌ قَدْ عَلاَهُنَّ الشَّجَــرْ[2]

ظلتُ فيه، ذاتَ يومٍ، وقفاً * أَسْأَلُ المَنْزِلَ هَلْ فيه خَبــرْ

للتي قالتْ لأترابٍ لهـــا * قُطُفٍ، فيهنّ أنسٌ وخفـــر[3]

إذْ تمشينَ بجوٍّ مؤنـــقٍ * نَيِّر النّبْتِ تَغَشَّــاهُ الزَّهَــرْ[4]

بِدِماثٍ سَهْلَة زَيَّنَهـــا * يَوْمُ غَيْـــمٍ لَمْ يُخالِطْهُ قَتَــرْ[5]

قد خلونا، فتمنيــنَ بنــا * إذْ خَلَوْنا اليَوْمَ نُبْدي ما نُسِــرْ

فَعَرَفْنَ الشَّــوْقَ في مُقْلَتِها * وحبابُ الشوقِ[6] يبديهِ النظــر

قُلْنَ يَسْتَرْضِينَها: مُنْيَتُنـــا * لو أتانا اليوم في سرٍّ عمـــر

---

[1] – الجنادل : الحجارة الصماء

[2] – هيج: أثار وحرك. مغانٍ: منازل.صيَرْ: جمع صيرة وهي حظيرة الغنم. دَارسات: وهو الطلل شرع في الاضمحلال والتلاشي وقد عفا وذهب أثره وتقادم عهده – علاهن: غطاهن.

[3] – أتراب : جمع ترب وهو المماثل في السن – قُطُفٍ: رشيقات – خفر: حياء .

[4] – نير النبت : النبات ذات خضرة ونضارة – تغشاه الزهر: تغطيه الزهور.

[5] – دماثٍ: مكان سهل لين – قتر: غبار.

[6] – حبابُ الشوق: علامات الشوق.

بَيْنَما يَذْكُرْنَني أَبْصَرْنَنـــي * دونَ قَيْدِ الميلِ يَعْدو بي الأَغَرْ[1]

قالت الكبرى: أتعرفن الفتى* قالت الوسطى: نعمْ، هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها[2]:* قد عرفناهُ، وهل يخفـى القمر!

ذا حبيبٌ لم يعـــــرجْ دوننا * ساقهُ الحيْـــنُ إلينا، والقدر[3]

فأتانا، حينَ ألقى بركـــــهُ * جَمَلُ اللَّيْلِ عَلَيْهِ واسْبَطَــرْ[4]

ورضاب المسكِ من أثوابهِ * مَرْمَرَ الماءَ عَلَيْهِ فَنَضَـــــرْ[5]

قد أتانا ما تمنينا وقـــــد * غُيِّبَ الأَبْــرَامُ عَنّا والقَــذَرْ[6]

---

[1] – دون قيد الميل: على بعد ميل – الأغر: فرس في جبهته قطعة بيضاء.

[2] – تيّمتُها: استعبدتها وذهبت بعقلها من فرط الهوى.

[3] – يعرّج: يعود، لم يعرج دوننا : لم يمل لأحد سوانا – الحين : المحنة.

[4] – بَرْكَهُ: صدر البعير – اسبطر : امتد.

[5] – رضاب: الريق – المسك : الرائحة الطيبة – مَرْمَرَ : جعله يمر على الشيء – فنضر: أصبح ذات حُسن ونضارة.

[6] – الأبرامُ: الصفات السيئة – القذر: ابتعاد المرأة عن الرجال .

المحاضرة الثامنة

شعر الزهد والتصوف

تمهيد:

التصوف مبحث هام من مباحث الفكر الإسلامي، وقد أثار التصوف الإسلامي جدلا كبيرا بين المستشرقين والباحثين العرب والمسلمين حول مفهومه، ومواضيعه، ومصطلحاته، ومصادره، وأبعاده المنهجية والمرجعية.

وقد كان لهذا التصوف علاقة وطيدة بالأدب شعرا ونثرا؛ فقد كانا السبيل الأمثل الذي عبر به المتصوفة عن مواجيدهم وأحاسيسهم، ودافعوا بواسطتهما عن مذهبهم.

أولا- مفهوم التصوف:

1-لغة: يقال: تصوف فلان أي صَار من الصُّوفِيَّة، وسُموا كذلك، لِأَنَّهُم يفضلون لبس الصُّوف تقشفا[1].

قال القشيري رحمه الله : "ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي، وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه"[2].

وقد علّق ابن خلدون على ذلك قائلا: "والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفه الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"[3].

---

[1] – المعجم الوسيط، 529/1.

[2] – تاريخ ابن خلدون، 611/1.

[3] – نفسه، 611/1.

ولعل هذا الاشتقاق هو الأقرب؛ يقول أحمد أمين في كتابه (ظهر الإسلام): "وقد اختلف الناس في نسبة الكلمة هل هي من الصفة، أو من الصفاء، أو من صوفيا وهي باليونانية بمعنى الحكمة، أو من الصوف، ونحن نرجح أنها نسبة إلى الصوف لأنهم في أول أمرهم كانت هذه الفرقة تلبس الصوف اخشيشانا وزهادة، كما نرجح أنها كانت ترتكن في أول أمرها على أساس إسلامي"[1].

2-اصطلاحا: يعرّف ابن خلدون التصوف بأنّ: "أصله العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[2].

فالتصوف طريقة سلوكيـــة قوامها التقشف والتحلي بالفضائل، لتزكو النَّفس وتسمو الرّوح، و(علم التصوف)هو مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة، والآداب التي يتأدبون بها فِي مجتمعاتهم وخلواتهم[3].

ثانيا – الفرق بين الزهد والتصوف:

يفرق العلماء بين الزهد والتصوف على أساس أن الزهد قائم على الاقتداء بالنبي ﷺ وصحابته في التخلي عن الدنيا والانقطاع إلى العبادة، وأن التصوف زادَ على ذلك أمورا أخرى محدثة تفرد بها الصوفيـــة، مثـــل المكاشفات[4]،

---

[1] – ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1969، 150/2.

[2] – تاريخ ابن خلدون، 1 /611 .

[3] – المعجم الوسيط، 529/1.

[4] – الكشف: بيان ما يستتر عن الفهم، فيكشف فيه للعبد كأنه رأي عين. ينظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، ص790.

والذوق[1]، والوجـــد[2]، والسماع[3]، والمحاضــرة[4]، والشطح[5]، وغيرها من المصطلحات الغريبة، وقد تأثر المتصوفة بثقافات الشعوب المجاورة، وترجمة الفكر اليوناني كما نجد ذلك واضحا لدى الحلاج[6]، صاحب نظرية الحلول،

---

[1] – الذوق: ابتداء الشرب، ومن جملة ما يجري في كلامهم: الذوق والشرب، ويبرون بذلك بما يجدونه من كرامات التجلي ونتائج الكشوفات، وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الري. ينظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، 372.

[2] – الوجد: ألم للقلب إما من الفرح أو الترح أو الطرب أو التعب. ينظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، 1031.

[3] – السماع: سماع الغناء والإنشاد، كي يحرك الوجدان، ويشجع على العبادة، ينظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، 478 وما بعدها.

[4] – المحاضرة: هي درجة دنيا، تليها المكاشفة، ثم المشاهدة، فهي: مرحلة أولى تتمثل في حضور القلب لمعرفة أدلة الوجود. ينظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، 836 .

[5] – الشطح لغة: مأخوذ من الحركة؛ لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم فعبروا عن ذلك بعبارات يستغرب سامعها، ومن أمثالها قول بعضهم: "لأن تراني خير لك من أن ترى ربك ألف مرة". ينظر: اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، تح: د.عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، 1380هـ، 1960م، 453، وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، 498.

[6] – هو الحسين بن منصور الحلّاج، كنيته أبو مغيث، سمي الحلاج، من الْحَلج ؛ يقال: حلج القطن بالمحلاج، إذا ندفه، وهو حلاج، أي نداف، ويذكرون أنه سمى الحلاج، لأنه اطلع على سر القلوب، وكان يخرج لب الكلام، كما يخرج الحلاج لب القطن، نشأ ببغداد، فخالط الصوفية، وهم مختلفون فيه، فأكثرهم نفى أن يكون منهم، وأبى أن يعدّه فيهم، طاف بلاد العجم وما وراء النهر، وحج وجاور، ورجع إلى بغداد، وقد أخذه السلطان وحبسه، ثم أفتى العلماء بضربه ألف سوط، ثم صلب وأحرقت جثته، وكان ذلك في ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة ببغداد. ينظر: طبقات المفسرين للداوودي،1/ 163.

والبسطامي صاحب نظرية الفناء، وابن عربي صاحب فكرة وحدة الوجود[1]؛ يقول ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس: "والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام، لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا، لما يرون عندهم من الراحة واللعب"[2]، ثم يقول: "فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمّه أحد، وقد ذموا التصوف"[3].

ثالثا – شعر الزهد والتصوف:

1–شعر الزهد: انطلقت هذه المرحلة مع مجموعة من الزهاد والأتقياء الورعين الذين كانوا يعتكفون في المساجد، يقضون حياتهم في عبادة الله وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وكان الرسول ﷺ نموذجا حقيقيا للزهد والورع والتقوى، إذ لم ينْسق مع مغريات الحياة الدنيا، بل كان يكبح نفسه من أجل نيل رضى الله تعالى، ولقد اقتدى الخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم به ﷺ فآثروا حياة النسك والزهد والتقشف والورع من أجل نيل مرضاة الله وجنته العليا، وقد ورث التابعون هذا الطريق عن الصحابة، وظهر منهم عدد من الزهاد اشتهروا بين الناس بالتقوى والصلاح، ومنهم: أويس القرني، والحسن البصري، وأبو مسلم الخولاني، ومالك بن دينار... وكان مالك بن دينار يعظ الناس بمثل هذا الشعر:

أتيت القبور فناديتهـــــن * أين المعظم والمحتقـــــر؟
وأين المدلّ بسلطانـــــه؟ * وأين المزكّي إذا ما افتخـر؟
تفانوا جميعا فما مخبـــر * وماتوا جميعا ومات الخبــر

[1] ينظر : ظهر الإسلام، أحمد أمين، 149/7 وما بعدها.
[2] – تلبيس إبليس، ص 145.
[3] – نفسه، ص 149.

تروح وتغدو بنات الثـــرى* فتمحو محاسن تلك الصّور[1]

فيا سائلي عن أناس مضوا * أما لك فيما ترى معتبـــر؟[2]

وممن عاشوا حياة الزهد الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يقول[3]:

عش ما بدا لك قصرك الموت * لا مهرب منـــه ولا فوت

بينا غنى بيت وبهجتـــــــــه * زال الغنى وتقوّض البيت

وكان الخليل عفيف النفس؛ لا يختار صحبة الملوك والأمراء، ووجّه إليه سليمان بن حبيب بن المهلّب من السّند يستزيره، فكتب إليه :

أبلغ سليمان أنّى عنه في دعـــة * وفى غنى غير أنـــى لست ذا مال

سخّى بنفسي أنّى لا أرى أحـــدا * يمـوت هزلا ولا يبقـــى على حـال

الرزق عن قدَر لا الضعف ينقصه * ولا يزيـــــــــدك فيه حول محتـال

والفقر في النّفس لا في المال تعرفه *ومثل ذاك الغنى في النفس والمال[4]

2- من شعر التصوف السني:

تعتبر هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة، وما جعل أقطاب هذه المرحلة يتميزون عن الناس هو تمسكهم بما كان عليه جيل الصحابة من مجاهدة للنفس، وبعد عن زخرف الدنيا ومتاعها، فلم يظهر التصوف السني إلا بعد مرحلة الزهد

---

[1] – يقصد ببنات الثرى: الدود.

[2] – عيون الأخبار، 326/2.

[3] – البيان والتبيين، الجاحظ، 126/3.

[4] – إنباه الرواة على أنباه النحاة، 379/1.

والتقشف في الدنيا، واختيار حياة الورع والتقوى والإخلاص في الاعتكاف، والإكثار من الخلوة، والتخلي عن الدنيا، واستشراف الآخرة، وسمِّي بالتصوف السني؛ لأنه كان مبنيا على الشريعة الإسلامية وأحكام الشرع، أي إن الصوفية كانوا يستندون إلى الكتاب والسنة، مع الابتعاد عما يغضب الله، وامتثال أوامره، والابتعاد عن الحرام، وارتكاب الذنوب والمعاصي، ومن أهم المتصوفة السنييـن: المحاسبي، والقشيري، والجنيد، وعبد القادر الجيلاني، ورابعة العدوية، المعروفة بالمحبة الإلهية، ومن أشهر ما قالت في محبة الله:

أحبك حبين حب الهـــــــوى * وحبا لأنـــــــــك أهل لـذاك

فأما الذي هو حب الهـــــوى * فشغلي بذكرك عمـــن سـواك

وأما الذي أنت أهـل لـــــــه * فكشفـــــك للحجب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لـــي* ولكن لك الحمــد في ذا وذاك[1]

3-مرحلة التصوف الفلسفي:

انتعش التصوف الفلسفي إبان العصر العباسي، في منتصف القرن الثالث الهجري، مع انتشار الفكر الفلسفي، والاحتكاك بثقافات الشعوب المجاورة، وترجمة الفكر اليوناني، وقد تأثر التصوف بذلك؛ فقد ظهر هذا التأثر واضحا لدى الحلاج، صاحب نظرية الحلول، والبسطامي، صاحب نظرية الفناء، وابن عربي، صاحب فكرة وحدة الوجود، ناهيك عن شطحات غريبة في تصوف ابن الفارض، والشريف الرضي، وجلال الدين الرومي، وذي النون المصري، وغيرهم.

[1]- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1962م، ص119.

ومن أبرز مصطلحات هذا النوع من التصوف إضافة إلى ما تم ذكره، مصطلح الحلول ومصطلح الاتحاد؛ فالحلول: اتِّحَاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أَحدهمَا إشارة إِلى الآخر[1]، وتزعم الصوفية أن الله اصطفى أجساما حل فيها، بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية[2]، والاتحاد: هو تصيير ذاتين ذاتا واحدة[3]، أي: اتحاد الله بمخلوقاته أو ببعضها، أي الاعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله تعالى.

والفرق بينهما أن الحلول إثبات لوجودين، والاتحاد إثبات لوجود واحد.

وبعض الصوفية يعتقدون أن الوجود هو ذات الله، وهذا هو معنى وحدة الوجود؛ يقول ابن عربي:

الرب حق والعبد حـــق * يا ليت شعري مـن المكلف

إن قلت عبدا فذاك ميت* أو قلت ربا أنـــى يكلف؟[4]

ومما قاله الحلاج:

مزجت روحك في روحي كما * تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسنـــــــي * فإذا أنت أنا في كل حال[5]

---

[1]– المعجم الوسيط، 194/1.

[2]– موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، ص305.

[3]– نفسه، ص6.

[4]– مواقع النجوم وأدلة الأسرار والعلوم، محي الدين بن عربي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص158.

[5]– الحلاج، الأعمال الكاملة، قاسم محمد عباس، مكتبة الرياض، بيروت لبنان، ط1، 2002م، ص319.

وقال أيضا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحـــــان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرتـــــه * وإذا أبصرتـــــــه أبصرتنا

أيها السائل عـــــن قصتنا * لو ترانا لم تفـــــــرق بيننا

روحه روحي وروحي روحه * من رأى روحين حلت بدنا؟[1]

وقال أيضا:

أنا أنت بـلا شـك * فسبحانك سبحـاني

وتوحيدك توحيـدي * وعصيانك عصياني

وإسخاطك إسخاطـي* وغفرانـــك غفرانـــي

ولم أجلـــــد يـــارب * إذا قيل هـــو الزاني[2].

وخلاصة القول، إن شعر التصوف يتميز عن بقية الشعر في أنه يحمل معاني حب الله، والبعد عن الدنيا وزخرفها، والرغبة في الآخرة، مع ما خالط هذا اللون من مصطلحات تميزه عن باقي الشعر.

[1] – نفسه، 330.

[2] – نفسه، 327.

للتطبيق:

من الذين اشتهروا بالكتابة الصوفية ابن الفارض المصري الذي عاش ما بين القرن السادس والسابع الهجري(576هـ- 632هـ)، وقد كتب عدة قصائد صوفية من أشهرها: كافيته التي يتغزل فيها بالذات الربانية، مبديا لواعجه وتشوقه إلى الحضرة الربانية، كاشفا عن لهفته لرؤية الله:

ابـقِ لي مقلـة لعلـي يومـــــــا * قبل مـوتي أرى بها مـــــن رآكا

أين مني مارمت؟ هيهات بل أيـ * ـن لعيـني باللحـــــظ لثم ثراكا

وبشيري لو جاء منك بعطـف * ووجودي في قبضتي قلت هاكا

قد كفى ماجرى دما من جفـون * لي قرحى! فهل جرى ما كفاكا

بانكساري بذلتي بخضوعـــي * بافتقـاري بفـاقتـــــي لغنــاكا

لاتكلـني إلى قويٍّ جلَـــدٍ خـــا * ن، فإني أصبحت من ضعفاكا

كنت تجفو وكان لي بعض صبر * أحسن الله في اصطباري عزاكا!

كم صدود عساك ترحم شكـــوا * ي، ولو باستماع قولـي عساكا!

شنّع المرجفون عنك بهجـــري * وأشاعـوا أنـــي سلـــوت هـواكا

كيف أسلوا؟ ومقلتي كلمـــــا لا * ح بريـق تلفتـت للقـــــــــاكا

كل من في حماك يهواك لكـــن * أنا وحدي بكـل مـن في حماكا[1]

[1] – خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م، 452/1.

المحاضرة التاسعة

شعر الحماســـــة

تمهيد:

لقد كان العربي بحاجة ماسة إلى الشجاعة والبطولة والفروسية؛ فقد كانت شبه الجزيرة العربية قليلة الماء والطعام، إضافة إلى انتشار قبائل العرب على مساحات شاسعة ينعدم فيها الأمن على النفس والمال والعرض، والعربي بحاجة إلى التنقل الدائم، إما للبحث عن الماء والكلإ والطعام، أو للتجارة، أو للحج والعبادة، وكل ذلك يقتضي منه الدفاع عن نفسه، أو الهجوم على غيره؛ قال القطامي:

فمن تكن الحضارة[1] أعجبتــه * فأي رجـــــال باديــةٍ ترانا؟

ومن ربط الجحاش فإن فينـــا * قناً سلبا وأفراســـــاً حسانا[2]

وكن إذا أغرن على قبيـــــل * فأعوزهن كوز[3] حيــث كانا

أغرن من الضباب على حلال * وضبة[4] إنه من حــان حانا

وأحياناً على بكـــــــرٍ أخينا * إذا ما لم نجد إلا أخـــــانا[5]

---

[1] – قوله: (الحضارة) ، أي ضد البداوة وَالْمرَاد أهل الحضارة، فَحذف الْمُضَاف، يَقُول من أعجبه أهل الْحَضَر فِي حاضرتهم، فَإِنَّا أَحَق بالإعجاب مِنْهُم وَإِن كُنَّا من رجال البدو.

[2] – القنا: جمع قناة، وهي الرمح: السلب: الطوال، واحده سَلَب.

[3] – كوز: رجل من أسد.

[4] – الضباب اسم قبيلة. والحلال: المجاور. وضبة : حَيٌّ من العرب.

[5] – الكامل في اللغة والأدب، 55/1.

أولا- التعريف بالحماسة:

تطلق كلمة الحماسة على معان عديدة، يتقارب بعضها من بعض في مدلولاتها اللغوية والاصطلاحية، وهو في اللغة عبارة عن الشدة والصلابة في الأمر والقتال، قال الفيروز أبادي: "حمِس، كفرح: اشتد وصلب في الدين والقتال، فهو حَمِس وأحْمَس، وهم حُمْس، والحُمْس: الأمكنة الصلبة، جمع أحمَس، وهو لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية، لتحمسهم في دينهم، أو لالتجائهم بالحَمْسَاء، وهي الكعبة، لأن حجرها أبيض إلى السواد، والحماسة: الشجاعة، والأحْمَس: الشجاع"[1].

وقال ابن دريد: "والحُمْس والحَمَس: التشدد فِي الْأَمر. وبه سميت الحُمْس قريش وخزاعة وبنو عامر بن صعصعة وقوم من بني كنانة، لأَنهم تحمسوا فِي دينهم، أي تشددوا، فسموا الحُمس"[2].

وقال ابن منظور: "والحماسة: المنع والمحاربة، والتحمس: التشدد، تحمس الرجل إذا تعاصى، وفي حديث علي- كرم الله وجهه-: حمس الوغى واستحر الموت: أي اشتد الحر"[3].

ومن خلال التعريفات السابقة نقف على معنى دقيق واضح للفظة الحماسة يمكن تلخيصه في الشجاعة والشدة والتشدّد والصلابة والقتال، مما يجعلنا نجد علاقة قوية بين الحماسة والحرب.

---

[1] – القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص539.

[2] – جمهرة اللغة، ابن دريد، 534/1.

[3] – لسان العرب، ابن منظور، 6/ 56.

ثانيا-مضمون شعر الحماسة:

لم يكن شعر الحماسة غرضا شعريّا قائما بذاته، فقد اقترنت بكلّ الأغراض القديمة، مدحا ورثاء وفخرا وهجاء، فبعد أن كانت الحماسة في العصر الجاهلي تعني التحمس للقبيلة وأيامها، ظهرت الحماسة الدينية في العصر الاسلامي والحماسة الحزبية في العصر الاموي والحماسة للجنس العربي، بعد دخول الاعاجم الى بلاد العرب، ثم توسع مفهومها في العصر العباسي، فعرفت أوج اكتمالها ونضجها الفني في القرنين الثالث والرابع للهجرة مع أبي تمام والمتنبي، وأصبحت تمثل اختيارات من عيون الشعر العربي، وقد تم ذلك على يد أبي تمام في كتابه الحماسة.

ثالثا-تطور شعر الحماسة:

1-**في العصر الجاهلي:** كان شعر الحماسة في الجاهلية يأتي ممزوجا بأغراض أخرى؛ فقد يمتزج بالغزل، كما عند عنترة حين يتودد إلى(عبلة):

ولقد ذكرتك والرماح نواهـــــــل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنهـــــــا * لمعت كبارق ثغـــــرك المتبســم[1]

أو بالفخر، كما عند تأبط شراً، وهو يفتخر بنفسه[2]:

[1] – ديوان عنترة، مطبعة الآداب، بيروت، دط، دت، ص84.

[2] – تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص378.

سَبَّاقِ غَايَاتِ مَجْدٍ في عَشِيرَتِـهِ * مُرجِّع الصَّوتِ هدّاً بينَ أرفـاقِ [1]
عَارِي الظَّنَابِيبِ مُمْتدٍّ نَوَاشِـــــرُهُ * مِدْلاَجِ أَدْهَمَ وَاهِي الْمَاءِ غَسَّـاقِ[2]
حَمَّالِ أَلْوِيَـةٍ شَهَّادِ أَنْدِيَـــــــةٍ * قوَّالِ مُحكمـــــــةٍ جوَّابِ آفـاقِ
فذاك همِّي وغزوي أستغيـــثُ بـهِ* إذَا اسْتَغَثتَ بِضَافِي الرَّأْسِ نَغَّاقِ[3]

وقد يأتي ممتزجا بأغراض أخرى مختلفة...

2-العصر الإسلامي: وفي هذا العصر ظهر شعر الحماسة لنشر الدعوة الإسلامية؛ فكان يهجو قريشا ثلاثةٌ من الأنصار، حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكان حسان وكعب يعارضانهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن راحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة[4].

وقد وصف هؤلاء الشعراء المعارك، كما وصفوا الانتصارات العظيمة التي حققوها على المشركين... يقول كعب بن مالك يصف نصر المسلمين في غزوة بدر:

---

[1] – هدّاً: أي مرتجّاً – أرفاق: جمع رفيق.

[2]– الظنابيب: جمع ظنبوب وهو عرقٌ يكون في الساق – النواشر أصول الأصابع– مدلاج: أي كثير الإدلاج وهو السير في الليل – الأدهم: الليل – واهي الماء: غزيزه – غسّاق: شديد الظلمة.

[3] – ضافي الرأس: أي مشعثّه ومتفرقه – نغّاقِ: أي نعّاق كثير الصياح.

[4] – شرح ديوان الحماسة (اختاره أبو تمام حبيب بن أوس)، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، دار القلم، بيروت، 58/2.

عجبت لأمر الله والله قـــــادر * على ما أراد، ليس لله قاهـــر
قضى يوم بدر أن نلاقيَ معشرا * بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهـــمُ * من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنـــــا * بأجمعها كعب جميعا وعامـــر
فلما لقيناهم وكل مجاهـــــــد * لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيـــــره * وأن رسول الله بالحق ظاهـــــر
وقد عريت بيض خفاف كأنهـــا * مقابيس[1] يزهيها لعينيك شاهـــر
بهن أبدنا جمعهم فتبـــــــددوا * وكان يلاقي الحَيْن[2] من هو فاجر
فكبَّ أبو جهل صريعا لوجهـــــه * وعتبة قد غادرنه وهو عاثـــــر[3]

وحين تأججت حروب الردة، ظهرت حماسة دينية يهتف بها المحاربون من المسلمين، من مثل قول أوس بن بجير الطائي في في موقعة بزاخة[4]:

وليت أبا بكر يرى من سيوفنا * وما تختلي مـــــن أذرع ورقاب
ألم تر أن الله لا رب غيره * يصب على الكفار سوط عذاب[5]

---

[1] – مقابيس: ج مقباس، وهو شعلة تقتبس من النار.

[2] – الحَيْن: الموت.

[3]– ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1386هـ،1966م، ص200.

[4]– بزاخة: هي ماء لطيئ بأرض نجد، كانت فيها وقعة عظيمة أيام أبي بكر الصديق، حيث انتصر خالد بن الوليد في حروب الردة على طليحة بن خويلد الأَسدي. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 408/1.

[5] – الإصابة في تمييز الصحابة، 217/1.

ومما تقدم نرى أن الحماسة كانت تعني في العصر الجاهلي التحمس للقبيلة وذكر مآثرها وأيامها، وفي العصر الإسلامي كانت تعني التحمس للدعوة الإسلامية، أو ما يسمى بالحماسة الدينية.

3-**العصر الأموي:** وفي هذا العصر ظهرت النقائض الشعرية، التي تمثل معارك شعرية دارت رحاها بين عدد من الشعراء، كالفرزدق وجرير والأخطل، ومن هنا فإن غرض الحماسة كان بارزا في هذا النوع من الشعر، وكان يتصدر بقية الأغراض الشعرية الأخرى.

4- العصر العباسي: لقد ألهبت الحروب والفتن والثورات التي ظهرت في هذا العصر حماس الشعراء والمقاتلين، وفي مقدمتهم أبو تمام، الذي نظم قصيدته البائية المشهورة، بعد معركة فتح عمورية، ومطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب[1]

وكذلك فعل المتنبي مع سيف الدولة؛ فعندما أتم سيف الدولة بناء سور مدينة الحدث، نظم المتنبي قصيدته الميمية المعروفة، ومطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم[2]

وحاول أبو تمام أن يتجه بمفهوم الحماسة اتجاها آخر، شمل مختارات عدة من أروع القصائد في الشعر العربي، حتى غلبت سمعتها شعر أبي تمام نفسه، فقيل: "كان في اختياراته أشعر منه في شعره"[3]، وأبو تمام لم يطلق على مختاراته اسم

---

[1] – شرح ديان أبي تمام ، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ، 1994م، 32/1.

[2] – ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1403هـ، 1983م، ص385.

[3] – تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، 228/3.

الحماسة، بل كان يسميها الاختيارات من شعر الشعراء، وتضم الحماسة أبوابا مختلفة، أولها باب الحماسة، فغلبت هذه التسمية على الكل فسميت بها، وقد ضم الديوان عشرة أبواب، ولم يكتــف أبو تمام بهذا الديوان، بل اختار غير ذلك من الشعر في مؤلف آخر سماه: (الوحشيات)، أو (الحماسة الصغرى)، وقد أجاد فيه أيضا[1]، وحاول البحتري أن ينسج على منوال أبي تمام، فألف كتاب (الحماسة) أيضا، وهو يتضمن قصائد ومقطوعات كثيرة في مختلف الأغراض والمعاني، حتى بلغت أبوابه 174 بابا، ولكنه لم يبلغ شأو حماسة أبي تمام[2]، وتابع العديد من الأدباء والمؤلفين فاختاروا وألفوا كتبا في الحماسة منها كتاب الحماسة، لأبي هلال العسكري (ت395 هـ)، والحماسة، للأعلم الشمنتري (ت476هـ)، والحماسة الشجرية، لأبي السادات ابن الشجري (ت542هـ)، والحماسة، لعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (ت653هـ)، والحماسة البصرية، لصدر الدين علي بن الفرج البصري (ت659 هـ)، وحماسة الظرفاء، للزوزني (ت779هـ) وغيرها.

وهكذا فإن شعر الحماسة ظل سائدا في العصر الجاهلي والإسلامي والأموى وحتى بداية العصر العباسي بمفهوم البطولة والشجاعة والفروسية والفخر الحربي، فضلا عن ظهور مفاهيم أخرى جديدة، كالحماسة الدينية في العصر الإسلامي، والحماسة للعنصر العربي في العصر الأموي، أما في العصر العباسي، فقد اتخذت الحماسة مفهوما آخر يختلف عما كان سائدا في العصور التي سبقته، فصارت تعني اختيار قصائد من عيون الشعر العربي.

---

[1] – تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس دار الثقافة بيروت، لبنان، ط4، 1404هـ، 1983م، ص 130.

[2] – ينظر: في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ص 166.

للتطبيق:

قال المتنبي يمدح سيف الدولة الحمداني:

1 عَلَى قَدْرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزائِمُ * وتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرامِ المَكــارِمُ

2 وتَعظُمُ في عَينِ الصّغِيرِ صِغارُها * وتَصغُر في عَينِ العَظِيمِ العَظائِمُ

3 يُكلّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمّــهُ * وقد عَجَزَتْ عنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ

4 ويَطلب عِندَ الناسِ ما عِندَ نَفســهِ * وذلِكَ ما لا تَدَّعِيــــهِ الضَراغِمُ

5 هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعــــرِفُ لَونَها * وتَعلَمُ أَي الساقِيَينِ الغَمائِــــمُ

6 سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولــــــهِ * فَلما دَنا منها سقتها الجَماجِــــمُ

7 بَناها فأَعلَى والقَنا يَقرَعُ القَنــــــا * ومَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِــــمُ

8 وَكانَ بِها مِثلُ الجُنونِ فأَصبَحَــــت * ومِن جُثَثِ القتلَى عَلَيها تَمائِــمُ

9 إذا كانَ ما تَنوِيهِ فِعلاً مُضــــارِعًا * مَضَى قَبلَ أن تُلقَى عَلَيهِ الجَوازِمُ

10 أَتَوكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كأنّمــــــا * سَرَوْا بِجِيادٍ ما لَهُــــــنَّ قَوائِمُ

11 إذا بَرَقُوا لم تُعرَفِ البِيضُ مِنهُــــمُ * ثِيابُهُمُ من مِثلِها والعَمــــــائِمُ

12 خَمِيسٌ بِشَرقِ الأرضِ والغَربِ زَحفُـهُ * وفي أذُنِ الجَوزاءِ منهُ زمــــازِمُ

13 تَجَمّع فيهِ كُل لِسنٍ وأُمّــــــــةٍ * فما يُفهِمُ الحُدّاثُ إلا التَراجِــــمُ

14 فلِلّـهِ وَقـتٌ ذوَّبَ الغِشَّ نـــــــــارُهُ * فلم يَبـقَ إلا صارمٌ أو ضُبـــــارِمُ

15 تَقَطـع ما لا يَقطَـعُ الدِرعَ والقَـــــنا * وفَرَّ منَ الفُرسان مَن لا يُصـــادِمُ

16 وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِـفٍ * كأَنكَ في جَفنِ الرَّدَى وَهْوَ نائِـــمُ

17 تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلْمَى هَزِيمـــةً * ووَجـهُكَ وَضَّـــــــــاحٌ وثَغْرُكَ باسِمُ

18 تجاوَزتَ مِقدارَ الشَجاعةِ والنُهَـى * إلى قولِ قَومٍ أَنتَ بالغَيـــــب عالِمُ

19 ضَمَمتَ جَناحَيهم على القَلبِ ضَمّةً * تَمُوتُ الخَوافِي تحتَـــها والقَوادِمُ

20 نَثَرتَهُمُ فَوقَ الأُحَيدِبِ كُلِّـــــــــهِ * كَما نُثِرت فَوقَ العَرُوسِ الدَراهِـمُ

21 أَفِي كُلِّ يومٍ ذا الدُّمستُق مُقـــدِمٌ * قَفاهُ على الإقدامِ لِلوَجهِ لائِـــمُ

22 يُسَرُّ بما أَعطاكَ لا عَن جَهالـــةٍ * ولكِنَّ مَغنوماً نجا مِنكَ غانِـــمُ

23 وَلستَ مَلِيكًا هازِمًا لِنَظِيـــــــرِه * ولكِنكَ التَّوحِيدُ لِلشِرْكِ هـــازِمُ

المحاضرة العاشرة

الشعر السياسي في المشرق والمغرب

تمهيد:

يعالج الشعر السياسي في الأدب العربي القديم كل ما له علاقة بالسياسة والحكم، سواء أكان مواليا للدولة والخلافة أم معارضا لها؛ وقد تناول في تلك الفترة قضايا سياسية متعددة؛ حيث كان يفرح ويهلل للفتوحات الإسلامية، ويحزن ويبكي لضياع بعض البلاد وسقوطها في يد الأعـــداء، كما كان يشارك في الصراع العنيف الناشب حول الحكم والخلافة، فقد كان لكل حزب شعراؤه الذين يدافعون عن آرائه ومعتقداته، ويهاجمون خصومه، كالحزب الأموي، والشيعة والخوارج... وفيما يلي بيان ذلك.

أولا–شعر الفتوح الإسلامية:

وهو شعر المحاربين من العرب المسلمين في فترة مشرقة من فترات تاريخهم؛ يتجلى فيها أثر الإسلام في نفوس العرب عقيدة وفكرة، بسبب الانقلاب الهائل الذي أحدثه الإسلام فيهم، فأخرجهم خلقا آخر، تتجلى فيهم أسمى المشاعر الروحية الإسلامية... وسرعان ما اندفعوا ينتشرون بهذا الشعور خارج حدودهم إلى الشرق والشمال والغرب، لا يأبهون بقوة في الأرض، وهم على ثقة كاملة من نصر الله لهم، أو الظفر بالشهادة في سبيل الله[1].

والواضح أن شعر الفتوح كان يرسم صورا لبأس المسلمين في حومات الوغى، حتى ليعدّ وثيقة تاريخية هامة في هذا السبيل، فقد انطلق على ألسنة الفاتحين مع أول ضربة سيف، وأحاط بالمعــارك والأحداث إحاطة تامـــة، فهو يصــور حياة

[1] – شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، النعمان عبد المتعال القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1426هـ، 2005م، ص9.

المجاهدين ومشاعرهم، ومعاركهم، وانتصاراتهم، وخلجات نفوسهم، وقوة بأسهم، وشدة ثباتهم، إلى غير ذلك مما يحتويه هذا النوع من الشعر.

ففي فتوح العراق يصور عاصم بن عمرو ثبات المقاومين من الفرس يوم العقيق فيقول:

ألم ترنا غداة المِقر[1] فئنا * بأنهار وساكنها جهـــــارا
قتلناهـــم بها ثم انكفأنا * إلى فم الفرات بما استجارا
لقينا من بني الأحرار فيها* فوارس ما يريــدون الفرارا[2]

ويصف عاصم بن عمرو بلوغ المسلمين الحِيرة، وإحاطتهم بقصورها فيقول:

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا * ورَجْلا فوق أثباج الـركاب[3]
حصرنا في نواحيها قصـورًا * مشرفة كأضــراس الكلاب[4]

ومما قاله أبو ذؤيب الهذلي في مدح عبد الله بن الزبير الذي اغتنم فرصة قتل فيها جرجير ملك المغرب، في معركة عنيفة:

وصاحب صدق كسيد[5] الضرا * ء[6] ينهض في الغزو نهضًا نجيحا[7]
وشيك الفصول[8] بطــيء القفو * ل[9] إلا مشاحًـــــا به[10] أو مشيحا[11]

---

[1] – المِقر: اسم جبل كاظمة في ديار بني دارم، أو موضع بكاظمة.

[2] – معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، 175/5.

[3] – أثباج: ج ثبج، وهو وسط الشيء ومعظمه. والركاب: ما يُركب.

[4] – معجم البلدان، ياقوت الحموي، 328/2.

[5] – السِّيد: الذئب.

[6] – الضراء: ما واراك من الشجر.

[7] – نجيحًا: سريعًا.

[8] – وشيك الفصول: أي سريع الغزو، وتروى: الفضول.

[9] – القفول: الرجوع.

[10] – مشاحا به: مستعان به على في الأمور الهامة.

[11] – المشيح: الجاد في أمره.

كسيْف المراديّ[1] لا ناكــلا [2] * جبانا ولا جيـــــــــــدريا[3] قبيحا

قدَ اَبقى لك الأيْن[4] من جسمه * نواشر[5] سيـــد ووجها صبيـــحا

ثانيا–شعر الخوارج:

الخوارج: فرقة من الفرق الإسلامية، خرجوا على عليّ بن أبي طالب ﷺ وخالفوا رَأْيه، ومعظمهم من البدو الجفاة والسذج، وقد قام أمرهم على الصلابة في الرأي، والمكابرة في القول، والاشتطاط في الحكم، والتشدد في الدين، والغلو في العبادة، والقسوة في المعاملة، والاعتماد على الحرب، وقد شايعوا عليّا وآزروه، ثم خرجوا عليه وكفّروهّ، ثم اغتالوه... وكانوا مع فساد رأيهم أهل عبادة وورع شديدين، إلا أنهم كانوا أهل شدة وقسوة، لا يرحمون صغيرا ولا شيخا ولا امرأة، وطالما ارتكبوا فضائع ومذابح لمخالفي رأيهم[6].

ومن شعرهم قول معاذ بن جوين يحرض قومه وهو أسير:

---

[1] – أراد سَيْف عبد الرّحمن بن ملجم قاتل عَلِيٍّ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، ومراد: أبو قبيلة من اليمن، وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وكان اسمه يحابر، فتمرد فسمي مرادا. ينظر: لسان العرب، 3/ 402.

[2] – الناكل: الجبان.

[3] – الجيدر: الرجل القصير. قَالَ ابْن جني، فَأما قَول أبي ذُؤَيْب: كسيف المُرَادِيِّ لَا ناكلاً جباناً ولَا جَيْدَرِيّاً قَبيحا فإنّه أراد جَيْدَراً فزاد ياء الْإِضافة لتوكيد الوَصْف. ينظر: المخصص، 185/1.

[4] – الأين: الاعياء.

[5] – النواشر: عصب باطن الذراع.

[6] – ينظر: تاريخ الطبري، 72/5.

ألا أيها الشارون[1] قد حان لامرئ * شرى نفســـه لله أن يترحـــــلا
أقمتم بدار الخاطئيـــن جهالــة * وكل امرئ منكم يصـــاد ليُقتــلا
ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التـــي* إذا ذكرت كانت أبرّ وأعـــــدلا
فيا رُب جمع قد فللت وغـــارة * شهدت، وقِرْن[2] قد تركت مجندلا[3]

وقول الطرماح بن حكيم:

لقد شقيتُ شقاءً لا انقطاع له * إن لم أفز فوزة تنجـــــي من النار
والنار لم يَنجُ من روعاتها أحد* إلا المنيبُ[4] بقلب المخلص الشاري
أو الذي سبقت من قبل مولده * له السعادة من خلاقـــها البـــاري[5]

والملاحظ أن شعر الخوارج تكثر فيه الرغبة في الموت والسأم من الحياة؛ فهذا قطري بن الفجاءة في أحدى أراجيزه يتحسر، لأن الموت أخطأه، ويدعو ربه مزيدا من الزهد في الحياة:

حتى متى تخطئني الشهادة * والموت في أعناقنا قـــــلادة
ليس الفرار في الوغى بعادة * يا رب زدني في التقى عبادة
وفي الحياة بعـدها زهادة[6]

والرغبة في الموت يصفها البهلول بن بشر الشيباني بقوله:

---

[1]– الشاري: هو الذي يبيع الدنيا بالآخرة، فتسموا بهذا الاسم حتى عُرفوا به. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، 243/2.

[2] – الْقِرن للْإِنْسَان هو مثيله فِي الشجاعة والشدة وَالْعلم والقتال وَغير ذَلِك

[3] – الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م، 29/3.

[4] – المنيب: التائب الراجع إلى ربه.

[5] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، 2/ 574.

[6] – الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تح: عبد المنعم عامر،دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1960م، ص 277.

من كان يكره أن يلقى منيتـــه * فالموت أشهى إلى قلبي من العسل

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني * ولا الحذار ينجينـــــــي من الأجل[1]

وتمثل أم حكيم[2] في أرجوزة لها السأم من الحياة، ومن حمل رأسها بين كتفيها، والعناية بغسله ودهنه، ثم تطرح سؤالا فيه من الطرافة، بمقدار ما فيه من ضجر العيش تقول:

أحمل رأسا قد سئمت حمله * وقد مللت دهنـــه وغسله

ألا فتى يحمل عنـي ثقله؟[3]

والموت المرتجى للخارجي ليس في كل حال موت الفراش أو موت القعدة، بل هو الموت الملحمي، وهو ما منحهم الشجاعة في الحروب، ولهذا فهم يتصورون قبورهم بطن الطير أو النسر، يقول عمران بن حطان:

---

[1] – ينظر: شعر الخوارج شعر الخوارج، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م، ط3، ص10.

[2] – امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجها، وأحسنهم بدينهم تمسكا، وخطبها جماعة منهم فردتهم، ولم تجب إلى ذلك، فكانت تحمل على الناس وترتجز بهذا الرجز. ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: سمير جابر، دار الفكر، بيروت،ط2، 159/6.

[3] – ينظر: الكامل في اللغة والأدب الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ، 1997م، 215/3.

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم * لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا[1]

ويقول الطرماح:

ويصبح قبري بطن نسر مقيله * بجو السماء في نسور عواكف[2]

ثالثا– شعر الشيعة:

لقد كان الناس يُجمعون على حب آل بيت النبيﷺ، وخاصة علي بن أبي طالب ﷺ وازدادت محبته في قلوب الناس بعد اغتياله في محرابه، وامتد الحب إلى أبنائه، وخاصة الحسن والحسين، سيديْ شباب أهل الجنة، بما لهم من شرف نالوه من جدهم سيد المرسلين محمدﷺ، وازدادت محبتهما بعد وفاة الحسن مسموما، ومقتل الحسين تلك القتلة التي ضج لها التاريخ، واضطهاد أبنائهما،

---

[1] – كتاب الأذكياء، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، مكتبة الغزالي، ص 210.

والبيت من قصيدة يمدح فيها عمران بن حطان عبد الرَّحْمَن بن ملجم على قَتله عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ، يقول:

يَا ضَرْبَة من تَقِيّ مَا أَرَادَ بهَا * أَلا ليبلغ من ذِي الْعَرْش رضوانا
إِنِّي لأذكره يَوْمًا فأحسبه * أَو فِي الْبَريَّة عِنْد الله ميزانا
أكْرم بِقوم بطُون الأَرْض أقبرهم* لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

فبلغت هَذِه الأبيات القَاضِي أَبَا الطّيب الطَّبَرِيّ فَقَالَ مجيباً لَهُ على الْفَوْر:

إِنِّي لأبرأ مِمَّا أَنْت قَائِله * على ابْن ملجم الملعون بهتانا
إِنِّي لأذكره يَوْمًا فألعنه * دينا وألعن عمراناً وحطانا
عَلَيْك ثمَّ عَلَيْهِ الدَّهْر مُتَّصِلا * لعائن الله أسرار وأعلانا
فَأَنْتم من كلاب النَّار جَاءَ بِهِ * نَص الشَّرِيعَة تبياناً وبرهانا

[2] – الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، 2000م، 246/16.

وبدأت المحبة تنتقل شيئا فشيئا إلى التقديس الذي أشرف بمحبيهم من الشيعة على مقام العبادة، ثم ظهر ذلك التقديس في صور من العقائد، فقالوا بالوصية[1]، وجعلوا الإمامة من أصول الدين، بل هي عندهم من أعظم أركان الإسلام[2] وحصروها في عليّ وبنيه، وطعنوا في إمامة أبي بكر وعمر[3]، ولم يتهيأ لهم السلطان، ولم تسعفهم القدرة، فاعتمدوا على استمالة القلوب وترقيقها بالبكاء والندب، وتصوير الآلام، وإعلان الفضائل، فاصطبغ شعرهم بالحزن العميق، والرثاء النائح، والمدح المبتهل، والعصبية الحاقدة.

على أن هذه الخصائص لم تكن واضحة في شعر أوائل الشيعة وضوحها في شعر الأواخر منهم، فإنّ تغلغل الفكرة في أصل العقيدة، وتنكيل الحاكمين بآل البيت، واضطهاد الولاة للشيعة، إنما تدرجت قسوةً وقوة مع الزمن[4].

ومما قاله أبو الأسود الدؤلي في حب علي رضي الله عنه:

يقول الأرذلون بنو قشير[5] * طوال الدهر لا تنسى عليّا!

---

[1] – أي: وصية النبي ﷺ بالخلافة لعلي– رضي الله عنه.

[2] – ينظر: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي محمد محمد الصَّلاَّبي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، 1425هـ، 2004م، 812/2.

[3] – ينظر: منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2001م، ص282.

[4] –الشعر في صدر الإسلام وعهد بني أمية، مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات، 30/120.

[5] –بنو قشير قوم جاورهم أبو الأسود وصاهرهم، إذ تزوج منهم امرأته أم عوف، ولكنهم سبوه ونالوا من علي كرم الله وجهه إيلاما له، وقذفوه ليلا بالحجارة، قال المبرد: "وكان بنو قشير عثمانية، وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يرمونه بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكا مرة فقالوا: ما نحن نرميك ولكن الله يرميك، فقال: كذبتم والله، لو كان الله يرميني لما أخطأني". ينظر: الكامل في اللغة والأدب، 3/ 152.

بنو عم النبي وأقربـــــوه * أحبُّ الناس كلهـــــــم إليّا

أُحِبهمُ كحبّ الله حتـــــى * أجيء إذا بُعثت على هَويا

فإن يك حبهم رشداً أُصِبْـهُ * ولست بمخطئ إن كان غيّا[1]

ويكاد الكميت بن زيد الأسدي بقصائده الهاشميات يكون الشاعر الفذ لبني هاشم؛ فقد مدحهم واحتج لهم ودافع عنهم بلسان صادق، واعتقاد خالص، ونفس جريئة، وقريحة سمحة، وهو أول من ناظر في التشيع، مجاهراً بذلك، وقد قال الجاحظ ما فتح للشيعة الحِجاج إلا الكميت بقوله:

فإن هي لم تصلح لحيٍّ سواهمُ * فأن ذوي القربى أحق وأوجب

يقولون لم يورث ولولا تراثـــهُ * لقد شركت فيها بكيل وأرحب[2]

وهو يردّ في هذا على من يقول إن النبي ﷺ لا يورَث كما يورث غيره، فيقول: إنه لولا تراثه، ولولا أن آل بيته أحق بالخلافة لأنهم ورثته، لكانت لتينك القبيلتين وغيرهما من القبائل العربية نصيب في الخلافة، وكان الناس كلهم سواء فيها.

وقد ظلت عاطفة الشيعة مكظومة بالطمع والخوف في العهد الأموي، حتى برزت أيام العباسيين نفثات غيظ، وحسرات حزن، وعبرات ألم، في شعر السيد الحميري، ودعبل الخزاعي، وديك الجن، ومطيع بن إياس، وأبي الشيص، وأضرابهم[3].

ومن شعر السيد الحميري في آل الرسول ﷺ:

أتى حسنًا والحسينَ الرسولُ* وقد برزا ضحوة يلعبانِ

---

[1] –تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والتوزيع، 1415هـ، 1995م، 25/ 189.

[2] – تاريخ دمشق، ابن عساكر، 239/50.

[3]– الشعر في صدر الإسلام وعهد بني أمية، مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات، 31/120.

وضمهما ثم فدَّاهمـــــــــا * وكان لديه بذاك المكان

وطأطأ تحتهما عاتِقَيْـــــــه* فنعم المطيّةُ والراكبان[1]

ومن هؤلاء المتشيعين منصور النَّمري، وكان يكثر من رثاء العلويين وبكائهم، ومن جيد ما قاله فيهم[2]:

آلُ الرسول ومن يحبُّهـــم * يتطامنون[3] مخافة القَتْـل

أَمِنَ النصارى واليهود وهم * من أُمَّة التوحيد في أزلِ[4]

ولعل أهم شاعر أعلن عقيدته الشيعية وعاش يناضل في سبيلها هو دعبل الخزاعي، وكان يتأسى بالنمري في بكاء آل البيت ورثائهم، وامتاز بأنه كان يضيف إلى ذلك هجاء لاذعًا في العباسيين، يقول:

أرى أمية معذورين إن قَتَلوا * ولا أرى لبني العباس من عُذرِ

قَتْلٌ وَأَسْرٌ وتحريقٌ ومنهبـةٌ * فعلَ الغزاة بأرض الروم والْخَزَرِ[5]

وهكذا ظلت مواجع الشيعة وأحقادهم يصدح بها شعراؤهم على مر الزمان.

---

[1]– طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص 35.

[2] – طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص246.

[3] – يتطامنون: يطأطئون رؤوسهم.

[4] – أزل: شدة وضيق.

[5] – تاريخ دمشق، ابن عساكر، 17/ 260.

ثالثا– رثاء المدن:

سبق الحديث عن الرثاء بأنه بكاء الميت؛ غير أن شعراء الأندلس لم يقفوا بهذا الفن عند حد رثاء موتاهم من الملوك والأهل والأقارب، وإنما وجدناهم قد توسعوا فيه، وطوروا مفهومه وذلك برثاء المدن، تلك التي غلبهم عليها أعداؤهم، وأخرجوهم منها مشردين في أنحاء الأندلس.

وقد أكثر شعراء الأندلس القول في رثاء مدنهم، حتى صار فنا شعريا قائما بذاته في أدبهم.

وربما نجد في أدب المشارقة شيئا من هذا القبيل، كقصيدة ابن الرومي في رثاء مدينة البصرة، عندما أغار عليها الزنج:

قال ابن الرومي:

ذاد عن مقلتي لذيذ المنـــــام * شغلها عنه بالدموع السجامِ

أيُّ نوم من بعد ما حلّ بالبصـــ* رة ما حلّ من هِنات عظامِ

أيُّ نوم من بعد ما انتهك الزّنـْــ * ج جِهـــارا محارم الإسلامِ

ومع أن المشارقة عرفوا هذا النوع من الرثاء إلا أنهم لم يتوسعوا فيه توسع الأندلسيين، ولذلك لم يظهر هذا اللون من الشعر في أدبهم كما ظهر في الأدب الأندلسي.

وقد ذكر صاحب نفح الطيب أن من أول ما استرده الإفرنج من مدن الأندلس مدينة طليطلة التي استولى عليها النصارى سنة 478هـ، بعد حصار طويل، وكان سقوطها مصابا جللا، هز نفوس الأندلسيين، فقال قائلهم:

طليطلة أباح الكفر منها * حمـاها إن ذا نبأ كبيـــــــــر

فليس مثالها إيوان كســرى* ولا منها الخورنق والسديـــــر[1]

محصّنة محسّنـــــة بعيـد * تناولها ومطلبـــــها عسيـــــر

وأُخرج أهلها منها جميعــا * فصاروا حيث شاء بهم مصير

ألا رجل له رأي أصيـــــل* به مما نحاذر نستجيـــــر؟[2]

ولعل نونية أبي البقاء الرُّنْدي هي أروع وأشجى ما جادت به قريحة شاعر أندلسي، ومما جاء فيها:

لكل شيئ إذا ما تم نقصان * فلا يُغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتـها دُول* من سرّه زمن ساءتــه أزمان[3]

وهناك قصائد كثيرة تحمل أحزانا شديدة وآلاما ممضّة، بكى بها الشعراء المدن الأندلسية التي تساقطت تباعا في يد الإسبان، بعد أن عاشت قرونا عديدة في نور الإسلام، وتكلم أهلها اللسان العربي الفصيح، لا يسع المقام لذكرها...

---

[1] – الخورنق والسديـر: قصران.

[2] – نفح الطيب، المقري، 483/4.

[3] – نفسه، 487/4.

للتطبيق:

1-من شعر الفتوح:

قال القعقاع بن عمرو في فتح حمص[1]:

يدعون قعقاعا لكل كريهـــــة * فيجيب قعقاع دعـــــاء الهاتف

فسرنا إلى حمص نريـد عدوها * سير المحامي من وراء اللاهـف

حتى إذا قلنا دنونا منهـــــــمُ * ضرب الإله وجوههم بصـوارف

ما زلت أزلهم وأطرد فيهـــــمُ * وأسير بين صحاصح[2] ونفانف[3]

حتى أخذنا جوهر حمص عنوة[4]* بعد الطعان وبعد طول تسايف[5]

وقال عبد الرحمن بن أبي سرح – أحد جند يزيد بن أبي سفيان– وهو يبشر بقرب فتح دمشق، وكان الجند رابضين على باب توماء مع ابن أبي سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنا بأننـــــا * على أحسن حال كان جيش يكونها

وأنا على باب لتوماء نرتمـــــي * وقد حان من باب لتومـــا حيونها[6]

ولما فتح المسلمون أجنادين ، قتل فيها ثمانون ألفًا من الروم، وفر الأرطبون قائدهم إلى بيت المقدس، وصور زياد بن حنظلة فراره فقال[7]:

ونحن تركنا أرطبون مطـــردًا * إلى المسجد الأقصى وفيه حســور[8]

---

[1] – تاريخ دمشق، ابن عساكر، 355/49.

[2] – الصحاصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار.

[3] – نفانف: كل شيء كان بينه وبين الأرض مهوًى فهو نفنف، أو هو مهواة ما بين جبلين.

[4] – هكذا ورد في المصدر، وهو لا يستقيم وزنا.

[5] – يقال: تَسايَفَ القومُ واستَافُوا: إذا تَضارَبوا بالسُّيوف.

[6] – معجم البلدان، 307/1.

[7] – نفسه، 104/1.

[8] – الحُسُور: الانكشاف والإعياء.

عشية أجنادين[1] لما تتابعـــوا * وقامت عليهم بالعـــــــراء نسور

عطفنا له تحت العجاج[2] بطعنة * لها نشج[3] نائي الشهيـــــق غزير

فطمنا به الروم العريضة بعــده * عن الشام أدنى ما هناك شطيـــر[4]

تولت جميع الروم تتبـــــع إثره * تكاد من الذعر الشديـــد تطيـــــر

وغودر صرعى في المكـرّ كثيرة * وعاد إليه الفــل[5] وهو حسيـــــر[6]

2- من شعر الشيعة:

قصيدة الكُمَيْت بن زيد الأسدي:

طربت وَمَا شوقاً إِلَى الْبيض أطرب * وَلَا لعباً منّي وَذُو الشّيب يلْعَب؟

وَلم تلهني دارٌ وَلَا رسم منـــــــزل* وَلم يتطرّبنـــــي بنانٌ مخضّب

وَلَكِن إِلَى أهل الْفَضَائِل والنّهـــــى * وَخير بني حــوّاء وَالْخَيْر يطْلب

إِلَى النّفر الْبيض الَّذين بحبّهـــــم * إِلَى الله فِيمَا نالنـــــــي أتقرّب

بني هاشمٍ رَهْط النّبـــــــيّ فإنّني * بهم وَلَهُم أرْضى مرَارًا وأغضــب

---

[1] – يوم أجنادين: يوم معروف كان بالشام أيام عمر، وهو موضع مشهور من نواحي دمشق، وكانت وقعة العظيمة بين المسلمين والروم فيه.

[2] – العجاج: الغبار.

[3] – يقال : نَشَجَ الباكي يَنْشِجُ نشَيجاً ونَشْجاً وهو إذا غصّ البكاءُ في حَلقِهِ عند الفَزعَةِ

[4] – شطير: بعيد.

[5] – الفل: القومُ المُنْهَزِمُون.

[6] – حسير: كليل.

بأيّ كتابٍ أم بأيّة سنّـــــــــــةٍ * ترى حبّهم عاراً علـــيّ وتحسب

وَمَالِي إلاّ آل أَحْمد شيعـــــــــةٌ * وَمَالِي إلاّ مذهـب الحـقّ مذهب

يشيرون بِالْأَيْدِي إليّ وَقَوْلهـــــمْ * أَلا خَابَ هَذَا والمشيــرون خيّب

فطائفةٌ قد أكفرتني بحبّهـــــــــم * وَطَائِفَة قَالُوا: مســـــيءٌ ومذنب

يعيبونني من غيّهم وضلالهـــــــم * على حبّكم بل يسخرون وأعجب

فَلَا زلتُ فيهم حَيْثُ يتّهمونـنـــــــي * وَلَا زلت فِي أشياعهـــــم أتقلّب

ألم ترني فِي حبّ آل محمّـــــــــدٍ * أروح وأغـــــــدو خَائفًا أترقّب

على أيّ جرمٍ أم بأيّة سيـــــــــــرةٍ * أعنَّف فِي تقريظهـــــم وأؤنّب[1]

3-من قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس بعد أن سقطت في يد الإسبان:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصـــــــانُ * فلا يُغرُّ بطيب العيـش إنسانُ

هي الأمورُ كما شاهدتهـــا دُولٌ * مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمـــــانُ

وهذه الدار لا تُبقي على أحـــــد * ولا يدوم على حالٍ لها شـــان

دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ لـــــه * هوى له أُحدٌ وانهدْ ثهـــــلانُ

فاسأل (بلنسيةً) ما شأنُ (مُرسيـةً) * وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جَيَّانُ)

[1] – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، 313/4، 314.

وأين (قُرطبةٌ) دارُ العلوم فكـــم * من عالمٍ قد سما فيها له شانُ
قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فمـــــا * عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ
تبكي الحنيفيةَ البيضاءُ من أســفٍ * كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ
على ديار من الإسلام خاليـــــة * قد أقفرت ولها بالكفر عُمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائسَ ما* فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبـــانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ * حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدمهـــا* وما لها مع طولَ الدهرِ نسيانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلـــــــسٍ* فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟
ماذا التقاُطع في الإسلام بينكـــمُ * وأنتمْ يا عبادَ الله إخـــــوانُ؟
يا من لذلةِ قومٍ بعدَ عزِّهـــــــمُ * أحال حالهمْ جورُ وطُغيـــانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلـــهم * واليومَ هم في بلاد الكفرِّ عُبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهـــــمْ * عليهمُ من ثيابِ الذلِ ألـــــوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهـــــــمُ * لهالكَ الأمرُ واستهوتـــكَ أحزانُ
يا ربَّ أمّ وطفلٍ حيلَ بينهـــــــما * كما تفرقَ أرواحٌ وأبـــــــدانُ
وطفلة مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت * كأنما هي ياقوتٌ ومرجـــــانُ
يقودُها العلجُ للمكروه مكرهـــــــةً * والعينُ باكيةُ والقلبُ حيـــــرانُ
لمثل هذا يذوب القلبُ من كمـــــدٍ * إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

المحاضرة الحادية عشرة
شعر الحكمة والشعر الفلسفي

تمهيد:

لقد ظهرت الحكمة في الشعر العربي عبر تاريخه الطويل، فلم يخلُ عصر من العصور الأدبية من شاعر حكيم، لأن الحكمة هي خلاصة التجربة الإنسانية، فليس من الضروري أن تُقرَأ في الكتب، أو تُؤخذ عن المؤدبين، وإنما قد يتعلمها الإنسان من مدرسة الحياة...

وفي هذه المحاضرة بيان لظهور شعر الحكمة وتطوره في الأدب العربي القديم.

أولا- شعر الحكمة في العصر الجاهلي:

الحكمة قديمة في أشعار الجاهليين؛ لأننا نعثر عليها عند أوائلهم، كامرئ القيس وعبيد بن الأبرص وغيرهما، وحِكَمهم مستمدة من بيئتهم التي عاشوا في كنفها، وتحمل في طياتها نظرات ثاقبة، وبصيرة واعية، إزاء قضايا الناس والحياة، وتأتي عادة في ثنايا القصائد.

ومن شعراء الحكمة في هذا العصر زهير بن أبي سلمى، وهو من أعظم شعراء العصر الجاهلي، يقدمه كثير من مؤرخي الأدب العربي مع امرأ القيس والنابغة الذبياني على سائر الشعراء الجاهليين؛ قال عنه ابن سلام: "قال أهل

النظر كان زهير أحصفهم شعرا، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من الْمَعْنى فى قليل من المنطق، وأشدهم مبالغة فِي الْمدح، وَأكثرهم أَمثالا فى شعره"[1].

ومما قاله في ذلك:

ومن لا يصانع في أمور كثيـــــــــرة * يضرَّس بأنياب، ويوطأ بمنســم
ومن يجعل المعروف من دون عرضــه * يفره، ومن لا يتق الشتم يشتـــــم
ومن يك ذا فضل، فيبخـــــل بفضلـــــه * على قومه يستغـن عنه ويذمـــــم[2]

وممن نطق بالحكمة في هذا العصر أيضا: الشاعر المُعمِّر زهير بن جناب الكلبي الذي يقول في ذم الكبر وطول الحياة:

الموتُ خيـــــر للفـتـــــى * فليهْلكَـنْ وبه بقيَّـه
من أن يُرى الشّيخَ البَجالَ[3] * إذا تَهادَى بالعشيَّـــهْ [4]

---

[1] – طبقات فحول الشعراء، ص 23.

[2] – ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه: علي حسن فاعور، دار الكتب العلميى، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ص110.

[3] – البجال: الرجل الشيخ السيد. ينظر: لسان العرب، 11/ 45.

[4] – الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، 121/3 .

ثانيا- شعر الحكمة في عصر صدر الإسلام:

لقد تعززت الحكمة في هذا العصر بمصدر عظيم، وهو القرآن الكريم الذي هو كنز الحكمة والعلم والمعرفة، وهو ما استفاد منه الشعراء المسلمون، فزاد شعرَهم حكمة، لما لتعاليم القرآن من أثر في ذلك.

ومن هؤلاء حسان بن ثابت، الذي يقول:

وإن امرأً يمسى ويصبح سالماً * من الناس إلا ما جنى لسعيد[1]

ويقول أيضا:

رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى عليه النعيم[2]

وقد ظهرت الحكمة أيضا في هذا العصر عند علي بن أبي طالب وكثير من الصحابة، وزاد العربَ كلفا بها حثُّ النبيﷺ على طلبها، واعتبرها ضالة المؤمن[3].

ومما قاله علي بن أبي طالب:

تحرَّز من الدنيا فان فناءها * محل فناء لا محل بقاء

فصفوتها ممزوجـــة بكدارة * وراحتها مقرونـــة بعناء[4]

---

[1] – ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م، ص89

[2] – نفسه، 223.

[3] – ينظر: سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تح: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، 269/5.

[4] – ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، 1409هـ، 1988م، ص8.

ومما قاله أيضا:

سَليمُ العَرضِ مَن حَذِرَ الجَوابا * وَمَن دارى الرِجالَ فَقَد أَصابا

وَمَن هابَ الرِجالَ تَهَيَّبـــــوهُ * وَمَن يُهِنِ الرِجــالَ فَلَن يُهابا[1]

ثالثا- شعر الحكمة في العصر الأموي:

لقد استمر الشعراء في هذا العصر ينْظمون في هذا النوع من الشعر، وقد كان لشعراء البادية القدح المعلى في ذلك؛ فهذا الشاعر القطامي يصور رأيه في الناس، بأنهم يقفون مع الغني، ولا يأبهون للفقير، يقول[2]:

والنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له * ما يَشتَهِي وَلأُمَ المُخْطِئ الهَبَلُ[3]

كما يبين أنهم يعيشون في ظل العقل الجمعي، ويتصرفون بما يمليه عليهم غواتهم، فهم يسيئون إلى الضعيف ويحترمون القوي، يقول[4]:

كذاك وما رأيت النـــاس إلا * إلى ما جـرَّ غاويـــــهم سراعا

تراهم يغمزون من استركّوا[5] * ويجتنبون من صدق المصاعا[6]

---

[1] – نفسه، ص17.

[2] – ديوان القطامي، عمير بن شبيم التغلبي القطامي، تح: محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001 م، ص543.

[3] – الهبل: الثّكل، أي فقد الولد. ينظر: مقاييس اللغة، 30/6.

[4] – ديوان القطامي، ص544.

[5] – اسْتَرَكَّ: اسْتَضْعَفَ . ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، 174/27.

[6] – المِصاعَ: أَي الجِلادَ والضِّرابَ. ينظر: لسان العرب، 338/8.

ومن حكمه: أن المفسدين إذا تولوا شيئا، كانت النتيجة فسادا وخسرانا، يقول[1]:

كذاك المفسدون إذا تولّوْا * على شيء فأمرهم التّبار[2]

وممن نظم في هذا النوع من الشعر أيضا: الأخطل، الذي يرى أن الحياة مهما طالت، فسوف تأتي المنية، يقول:

ويعلمُ أنَّ المرءَ ليسَ بخالدٍ * وأنَّ مَنايا النّاسِ يَسْعى دليلُها[3]

ومنهم كذلك نابغة بني شيبان، الذي يبين أن الشدائد التي تنزل بساحة الإنسان لا تدوم، يقول:

فَكُلُّ شَديدَةٍ نَزَلَت بِحَيٍّ * سَيَأتي بَعدَ شِدَّتِها الرَخاءُ[4]

كما يبين أيضا أن البكاء لا يمكن أن يحيي من مات:

وَلا تُبكِ المُصابَ وَأَيُّ حَيٍّ * إِذا ما ماتَ يُحييهِ البُكاءُ[5]

وممن نطق بالحكمة في هذا العصر أيضا نصر بن سيار أمير خراسان، يقول:

---

[1] – ديوان القطامي، ص 544.

[2] – التبار: الهلاك والفساد.

[3] – ديوان الأخطل، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م، ص393.

[4] –ديوان نابغة بني شيبان، مطبوعات دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 2000م، ص41.

[5] – ديوان نابغة بني شيبان، مطبوعات دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 2000م، ص41.

أرى تحت الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضـرام

فإنّ النار بالعودين تُذكـَـــى * وإن الشرّ مبدؤُهُ كـــــــلام

فإن لم يطفها عقلاء قـــــوم * يكون وقودها جثث وهــام[1]

رابعا- شعر الحكمة في العصر العباسي:

لقد كانت حِكَمُ العصور الأدبية السابقة تأتي في ثنايا قصائد المديح أو الهجاء أو الرثاء أو غيرها...أما في هذا العصر فقد تميّز شعر الحكمة بإفراد قصائد أو مقطوعات كاملة... من ذلك قصيدة (ذات الأمثال)، لأبي العتاهية التي جمع فيها كثيرا من الأمثال البليغة، وقد ذكر صاحب الأغاني أنها تبلغ نحو أربعة آلاف مَثَل[2]، ومن الشعراء الذين أفردوا للحكمة قصائد كاملة صالح بن عبد القدوس، الذي يقول في قافيَّته المشهورة :

المرء يجمع و الزمان يفـــــرق * ويظل يرقع و الخطوب تمزق

ولأن يعادي عاقلا خيـــــر له * من أن يكون له صديق أحمق

فارغب بنفسك أن تصــادق أحمقا * إن الصديق علي الصديق مصدق

وزن الكـــلام إذا نطقـت فإنمـــــا * يبدي عيوب ذوي العقول المنطــق[3]

---

[1] – ديوان نصر بن سيار الكناني، تح: عبد الله الخطيب، مطبعة شفيق، بغداد، ط1، 1392هـ، 1972م، ص40.

[2] – الأغاني، جزء 40/4 .

[3] – تاريخ بغداد، 303/9.

ويبدو أن شعر الحكمة قد تأثر كثيرا بحركة الترجمة الواسعة في ذلك العهد، فشعراء بني العباس استوعبوا حكم اليونان والفرس، وحكم كليلة ودمنة الهندية التي ترجمت للفارسية، ثم نقلها ابن المقفع إلى العربية فتمثلوا كل ذلك شعراً.

وقد بلغ من احتفاء الشعراء العباسيين بتضمين الحكمة أشعارهم أنْ قيل في الموازنة بين أبي تمام والمتنبي والبحتري: "إن الأوّليْن حكيمان، والشاعر البحتري"[1]، وذلك لكثرة ما في شعرهما من الحكم، وأبو تمام هو القائل في ذلك الضرب من الشعر:

إذا جَارَيْتَ في خُلُقٍ دَنِيئــاً * فأنتَ ومنْ تجارِيه سواءُ

رأيتُ الحرَّ يجتنبُ المخازي * ويَحْمِيهِ عنِ الغَدْرِ الوَفاءُ

وما مِنْ شِدَّة إلاَّ سَيأْتــــي * لَها مِنْ بعدِ شِدَّتها رَخاءُ

لقد جَرَّبْتُ هذا الدَّهْرَ حتَّــى* أفَادَتْني التَّجَارِبُ والعَناءُ

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ ولــى * بَدا لهمُ مِنَ الناسِ الجَفاءُ

يَعِيش المَرْءُ ما استحيَى بِخَيرٍ* ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ

إذا لم تخشَ عاقبة الليالـــــي* ولمْ تستَحْيِ فافعَلْ ما تَشاءُ[2]

---

[1] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح بن عبدالكريم الموصلي المعروف بابن الأثير، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، 348/2.

[2] – شرح ديوان ابي تمام، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ، 1994م، ص311.

والواضح أن الولع بالحكمة ظاهر في الأدب العباسي؛ فقد كان الشعراء أكثر لجوءاً إلى نظم الحكم وسرد العبر والاستشهاد بعظات التاريخ، خاصة في قصائد الرثاء، ورسائل التعزية، وأشعار الشكوى، والوجدانيات.

أما مصادر الحكمة في الأدب العباسي فلا تحصر، فأبو العتاهية كان دائم الذكر للموت، والمتنبي كان يشتقّ حِكَمه من حياة التناحر والمطامع والمعارك الأدبية والسياسية التي كان يحياها، والمعري كان يستقي حكمته من ظواهر الكون التي كان دائم الاشتغال بها[1]...

ومن أمثلة شعر الحكمة في هذا العصر أبيات المتنبي التي يقول فيها:

من أطاق التماس شيءٍ غلاباً * واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

كل غادٍ لحاجةٍ يتمنى* أن يكون الغضنفَر الرئبالا[2]

ويقول أيضا:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا*مضرّ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهمُ * ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا[3]

ويقول أيضا:

---

[1] – مجلة الرسالة، العدد 207 – بتاريخ: 21 – 06 – 1937، ص29

[2] – ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ، 1983م، ص412.

[3] – نفسه، ص372.

إذا ساءَ فِعْلُ المرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ * وَصَدَقَ مَا يَعتَادُهُ مِن تَوَهُّـــــمِ

وَعَادَى مُحِبّيهِ بقَـــــوْلِ عُداتِهِ * وَأصْبَحَ في لَيلٍ منَ الشّكّ مُظلِمِ[1]

وقد ظهر شعر الحكمة كذلك عند بشار بن برد، وهو القائل:

إذَا بَلَغَ الرأْيُ المَشُورةَ فَاستَـــــعنْ * برأي نصيح أو مشورةِ حازِمِ

ولا تجْعل الشورى عليك غضاضــة * فريش الخوافي قوة للقوادم[2]

وفي هذا العصر اشتغل المسلمون بدراسة الفلسفة اليونانية، فتأثر أدباؤهم بها، واتخذت حكمتهم صبغة فلسفية أقرب إلى القضايا المنطقية وأشبه بالاستقراء العلمي، وذلك واضح في أشعار بعض الشعراء كالمتنبي والمعري، وقد بلغ من تأثر شعر الحكمة في العربية بروح الفلسفة اليونانية، أن أبا علي الحاتمي وضع رسالة يردّ فيها أكثر حكم المتنبي إلى كلام أرسطو، فمن ذلك قوله:

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الأجسام

ينسب أبو علي الحاتمي هذا المعنى إلى أرسطو في قوله: " إذ كانت الشهوة فوق المقدرة، كان هلاك الجسم"[3].

---

[1] – ديوان المتنبي، ص409، 410.

[2] – ديوان بشار بن برد، تح: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1386هـ، 1966م، 172/4، 173.

[3] – الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو فى الحكمة، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر المعروف بالحاتمي، تح: فؤاد أفرام البستاني، جمَّعت هذه الرسالة من أعداد مجلة المشرق، السنة 29 – 1931م، ص276.

وقوله:

يهون علينا أن تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول

مأخوذة من قول أرسطو: "علل الأفهام أشد من علل الأجسام"[1].

ومن الشعراء الذين تأثروا بالفلسفة، فنضح بها شعرهم أبو العلاء المعري، فهو يرى أن النفس تطهر بترفعها عن الجسد وتغتسل من أردانها لتعود الى ثوبها الأصلي، يقول:

جسدي خرقة تخاط الى الأرض * فيا خائط العوالم خطني[2]

كما نجده يتأمل في قوة القدر على طريقة الجبرية[3]، سيرا مع الأطروحات الفلسفية التي طرحت في عصره:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي * ولا حياتي فهل لي بعد تخيير

ولا إقامة إلا عن يدي قـــــدر * ولا مسير إذا لم يقض تيسير[4]

---

[1] – الرسالة الحاتمية، ص353.

[2] – لزوم ما لا يلزم، لأبي العلاء المعري، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة، 395/2.

[3] – القدرية: مذهب من يرى أَن كل مَا يحدث للْإِنسان قد قدر عليه أزلا فهو مسير لا مخيّر...

[4] – لزوم ما لا يلزم، 315/1، 316.

خامسا– شعر الحكمة والفلسفة في العصر الأندلسي:

وفي هذا العصر ظهر شعر الحكمة لدى عدد من الشعراء، على غرار شعراء العصر العباسي، وسنكتفي للتمثيل لذلك بنونية أبي البقاء الرندي، في رثائه الأندلس:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ * فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هي الحياة كما عاهدتها دُولٌ * مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ[1]

كما ظهر الشعر الفلسفي حين تطوّرت الحركة الفلسفية في الأندلس، وخاصة بعد دخول رسائل إخوان الصفا[2]، ومثل هذا النشاط في ميدان الفلسفة مهد لظهور كبار فلاسفة الأندلس، كابن باجه، وابن رشد، وابن طفيل، وغيرهم.

ويمكننا أن نمثل لهذا الغرض بقول أمية بن عبد العزيز:

وما غربة الإنسان في غير داره * ولكنها في قرب من لايشاكل[3]

ويقول الشاعر الغزال:

أرى أهل اليسار إذا تُوُفُّوا * بَنوا تلك المقابر بالصخـــــور

---

[1] – نفح الطيب، 487/4.

[2] – هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث الهجري والعاشر الميلادي بالبصرة، اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد.

[3] – نفح الطيب، 483/3.

أبوْا إلاّ مُبَاهاة وفخـــــــرًا * على الفقراء حتى في القبـــور

فإن يكن التفاضل في ذراها * فإن العدل فيها في القعــور[1]

وهكذا فإن الحكمة ظهرت مبكرة في الشعر العربي، منذ العصر الجاهلي؛ أما الشعر الفلسفي، فقد تأخر إلى أن ظهر الفكر الفلسفي في العصر العباسي وما بعده، فقد استطاع بعض الشعراء أن يطوعوا الفلسفة للشعر، والشعر للفلسفة، فظهرت قصائد كثيرة تصور الخواطر النفسية والتأملات الفكرية، من أجل فهم أرقى للحياة والوجود.

[1] – نفسه، 2/ 256.

للتطبيق:

قال أبو الفتح البستيّ:

1. زيادةُ المرءِ في دُنياه نُقصـــــــانُ * ورِبْحُه غيرَ مَحْضِ الخير خُسْرانُ

2. وكل وجدانِ حظٍّ لا ثباتَ لـــــــه * فإنَّ معناه في التحقيق فِقْـــــدانُ

3. يا عامراً لخرابِ الدَّارِ مجتهـــــداً * بالله هل لخراب العمر عمـــران؟

4. وياحريصاً على الأموالِ تجمعُهـــا * أُنْسيتَ أنَّ سرورَ المـــالِ أحزانُ؟

5. زع[1] الفؤاد عن الدنيا وزينتهـــــــا * فَصَفْوُها كدرٌ والوصـــلُ هِجْرانُ

6. وأَرْعِ سَمْعَك أمثالاً أُفصِّلُهـــــــا * كما يُفَصَّل ياقوتٌ ومَرْجـــــانُ

7. أحْسِنْ إلى الناسِ تَسْتعبِدْ قلوبَهُـــمُ * فطالما استَعْبَدَ الإنســـانَ إحسانُ

8. يا خادمَ الجسم كم تشقى بِخِدمتِـــه * أتَطلُبُ الرِّبْحَ فيما فيه خُسْـــرانُ؟

9. أقبل على النفس واستكمل فضائلها * فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنســـانُ

10. وإن أساء مسيءٌ فليكُنْ لك فـــي * عُروضِ زَلّتِه صَفْح وغُفـــــرانُ

11. وكن على الدهرِ مِعْواناً لذي أملٍ * يرجو نَداك فإنَّ الحـــــرَّ مِعْوانُ

12. واشْدُدْ يديك بحبلِ الله مُعتصِـماً * فإنه الرُّكْنُ إن خانَتْكَ أرْكـــــانُ

13. من يتق الله يُحمَـــد في عواقبـــــه * ويَكْفِه شرُّ من عزوا ومـــن هانوا

[1] - زعُ: امنع

14. من استعانَ بغير اللهِ في طلـــــــبٍ * فإنَّ ناصِرَه عَجْـــــــزٌ وخِذْلانُ

15. من كان للخيرِ مَنَّاعاً فليس لـــــــه * على الحقيقةِ إخوانٌ وأخْـــــدانُ

16. من جادَ بالمالِ مالَ الناسُ قاطِبـــــةً * إليه والمالُ للإنسانِ فَتَّـــــانُ

17. من سالَمَ الناسَ يَسلمْ من غوائِلِـــــهم * وعاش وهو قَريرُ العيـــنِ جَذْلانُ

18. من عاشَرَ الناسَ لاقى منهمُ نَصَبـــــاً * لأن سوْسَهُمُ بَغْيٌ وعُـــــــدوانُ

19. من يزرعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ في عواقِبِـــــه * ندامةً، ولِحَصْدِ الزَّرْعِ إبّـــــانُ

20. دَعِ التكاسُلَ في الخيراتِ تَطْلُبُهـــــا * فليس يسعدُ بالخيراتِ كســـلانُ

21. والناسُ أعوانُ من والتْهُ دَولَتُـــــــهُ *وهم عليه إذا عادَتْـــــهُ أعوانُ

22.(سَحْبانُ[1]) من غيرِ مالٍ (باقِلٌ[2]) حَصِرٌ * و(باقِلٌ) في ثراءِ المالِ (سَحْبانُ)

23. لا تحسبِ الناسَ طبعاً واحداً فلهـــم *غرائزٌ لستَ تُحْصيهـــــنَّ ألوانُ

24. وللأمور مواقيتٌ مقـــــــــدرةٌ * وكل أمر له حـــد وميـــــزان

25. إذا نَبا بكريم مَوْطِـــنٌ فلـــــــه * وراءَهُ في بسيـــطِ الأرضِ أوطانُ

26. يا ظالِماً فرِحاً بالعزِّ ساعَـــــــدَهُ * إن كنتَ في سِنَةٍ فالدَّهـــرُ يقظانُ

27. ما استمرأ الظَّلَمَ لو أنصفتَ آكِلُهُـــ * وهل يَلَذُّ مـــذاقَ المرءِ خُطْبـــانُ

---

[1] – هو سحبان بن وائل ، من أبلغ العرب، ضرب به المثل، فقيل: أبلغ من سحبان.

[2] – هو رجل يُضرب به المثل في العيّ، حتى قيل : أعيا من باقل.

28. يا أيها العالِمُ المَرْضِيُّ سيرَتُـــــهُ * أبشِرْ فأنتَ بغيـــرِ الماءِ ريـــانُ

29. ويأأخا الجهلِ لو أصبحتَ في لُجَجٍ * فأنت ما بينهـــما لا شكَّ ظمـــآنُ

30. لا تَحسبـــــنَّ سُروراً دائماً أبــداً * مَن سَـــــرَّه زمنٌ ساءَتْـــــهُ أزمانُ

31. يا رافلاً في الشَّبابِ الرَّحبِ مُنْتَشِياً * مِن كأسِهِ، هل أصاب الرشدَ نشوانُ؟

32. لا تَغترِرْ بشبابٍ رائقٍ نَضِـــــرٍ * فكم تقـــــدم قبلَ الشّيبِ شُبّـــــانُ

33. كلُّ الذنوبِ فإن الله يغفرهـــــا * إن شَيّعَ المرءَ إخـــــــلاصٌ وإيمانُ

34. وكلُّ كسرٍ فإن الدِّينَ يَجْبـــــرُهُ * وما لكسرِ قنـــاةِ الدِّين جُبـــــرانُ

35. خُذها سوائرَ أمثالٍ مهذبـــــــةً * فيها لمن يَبتَغـــــي التِّبيان تِبيـــانُ[1]

[1] – ديوان أبي الفتح البستي، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربي، دمشق، 1410هـ، 1989م، ص186.

المحاضرة الثانية عشرة
الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِي

تمهيد:

لقد أسست الأندلس حياتها العقلية والأدبية على أسس مشرقية، فقد كان شعراؤها يقلدون الشعراء المشارقة، من حيث الموضوعات والأفكار والمعاني والأخيلة والأساليب، ومن ثم فقد تربى الذوق الأندلسي مدة طويلة على شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وأبي العتاهية وغيرهم...

أولا-نشأة الشعر الأندلسي وتطوره:

فتح العرب شبه الجزيرة الاسبانية – الأندلس- في زمن الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك سنة 93 هجرية، وذلك عندما توجهت اليها حملة قوية بقيادة القائد العربي طارق بن زياد[1].

وقد غزت اللغة العربية بلاد الاندلس مع الفاتحين، وانتشرت بمرور الوقت لتصبح بعد فترة لغة سكان الأندلس وما جاورها، فقد انتقل عدد كبير من العرب الى الأندلس بعد فتحها، وتمركز الحكم العربي الأموي فيها[2].

ولما كان الشعر متأصلا في العرب، فقد رافق الفاتحين وانتشر في الأندلس، وطغت عليه الصفة التقليدية العربية في البدء، فمن لدن فتح الأندلس إلى زمن عبد الرحمن الداخل، أي نحو 46 سنة، ولم يكن في الأندلسي آنذاك شعراء ولا كتاب من أهلها، بل كانوا من الطارئين، وكان منهم شعراء مجيدون، مثل جعونة

---

[1] – فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص228.

[2] – تاريخ ابن خلدون، 361/1.

بن الصمة؛ الذي قال عنه ابن حزم: "ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر، لم نباهِ به إلا جريرا والفرزدق، لكونه في عصرهما، ولو أُنصف لاستشهد بشعره، فهو جار على مذهب الأوائل، لا على طريقة المحدثين"[1]، وقد استمرت تلك الحال إلى منتصف القرن الثاني.

والحقيقة أنه حين كان الشعر يتكوّن في الأندلس، كان الشعر المشرقي يشهد تجديد بشار وأبي نواس، ويقف على مفترق الطريق بين مذهبي أبي تمام والبحتري، ولما كان سكان الأندلس يلتفتون في كل شيء إلى المشرق، فقد اتخذوا من شعر المشارقة المحدثين مثالا يقلدونه، أي انهم جعلوا الشعر المحدث، لا شعر العرب الأوائل موروثا لهم، ينسجون على منواله، ويستوحون ما فيه، وهذه الحقيقة كفيلة بتفسير جانب كبير من مظاهر الشعر الأندلسي[2].

إذن فقد كان الشاعر الأندلسي أول أمره مقلدا للشاعر العربي في المشرق؛ فقد قلد ابن زيدون البحتري، وابن هانىء المتنبي[3]... فابن زيدون مثلا ينْظـــــم

قصيدته المشهورة:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيْلاً مِنْ تَدانِيْنا* وَنَابَ عَنْ طِيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْنَا

---

[1] – نفح الطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، 177/3.

[2] – تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص 34.

[3] – ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 379/1، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م، 330/4.

على نمط قصيدة البحتري:

يكاد عاذلنا في الحب يغرينا * فما لجاجُك في عذلِ المحبينا

وعلى هذه الشاكلة يصوغ الشعراء قصائدهم على صورة القصائد العباسية، وهي صورة لا تقف عند المشابهة في الوزن والروي، بل تمتد إلى المشابهة في المعاني والأساليب، وكأنما القصيدة في رأيهم ليست إلا تلفيقًا للمواد الفنية التي تركها العباسيون، فهم يبدِئُون ويعيدون في المعاني والصور الموروثة، دون أن يضيفوا إليها جديدا إلا قليلا[1].

ثانيا- نَهْضَةُ الشِّعْرِ الأندَلُسي:

لا نكاد نمضي في صدر القرن الخامس الهجري حتى نرى الدولة الأموية التي أقام صرحها عبد الرحمن الداخل وأبناؤه تتهاوى، ويحل مكانها نظام جديد، يقوم على أن تحكم كل مدينة كبيرة في الأندلس نفسها بنفسها، ويُعرف هذا النظام باسم نظام ملوك الطوائف؛ إذ أصبح في كل مدينة فرد أو أسرة تحكمها حكما منظما، وقد اشتد التنافس بين هذه المدن، واستطاعت الأندلس عن طريق هذا التنافس أن تظفر بأكبر حظ من النشاط العلمي والأدبي؛ إذ كان كل أمير أو ملك -كما كانوا يسمونه- يريد أن يبذَّ من حوله في القوة والسلطان والثروة المادية والعقلية والفنية[2].

ويعدّ عصر ملوك الطوائف من أزهى عصور الأندلس من الوجهة الحضارية، فقد انتشر الشعر العربي في الأندلس حتى وصل الى منتهاه في الرقي[3]، حيث

---

[1] – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط13، ص 435.

[2] – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص432.

[3] – تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص81.

جمع كل أمير حوله الأدباء والشعراء، وبذلك حصل الشعر العربي على مكانة عظيمة، وثروة أدبية كبيرة نتيجة هذا التنافس بين الأمراء والشعراء والطبيعة الخلابة التي بهرت الفكر العربي فأبدع، فظهرت نتيجة هذا الإبداع معان جديدة، وأساليب جديدة متطورة ومتمدنة، وظهر الموشح في الشعر، كما سنبين ذلك في محاضرة لاحقة.

وقد استمرت هذه الحركة الدافعة في العصرين التاليين: عصر المرابطين والموحدين، إذ استطاعت الأندلس أن تظفر بطائفة من الفلاسفة، كابن باجة وابن رشد، كما استطاعت أن تظفر بطائفة كبيرة من العلماء في الأبحاث الدينية والأبحاث النحوية، وقد حققت لنفسها رقيّا واسعا في الأدب بقسميه من شعر ونثر...وبذلك نهض الشعر الأندلسي نهضة واسعة في هذه العصور وهي نهضة ظلت في حدود الصورة العامة لشعرنا العربي، فلم يَثُر الشعراء هناك على خطوط هذه الصورة وظلالها وأضوائها، بل ظلوا يعيدون رسمها، لا يكلُّون ولا يملُّون، وفي أثناء ذلك يقعون على تشبيهات واستعارات طريفة[1].

ثالثا- أسباب نهضة الشعر الأندلسي:

هناك أسباب متعددة ساهمت في نهضة الشعر الأندلسي، أهمها:

1-الحركة الثقافية التي أوجدها الحكم المستنصر (350هـ- 366هـ)، فهذه الحركة بعثت في الأندلسيين شعوراً بالثقة، حين ميزت بين التبعية الكاملة للمشرق والاستقلال الذاتي، وأعانت على النظرة إلى ما يمكن أن يسمى (شعر الأندلسيين) مستقلا أو متصلا بالحركة الشعرية عامة في البلاد الإسلامية.

[1] – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 432.

2-إنشاء ديوان للشعراء لا يقيد فيه اسم الشاعر لينال عطاء إلا بعد أن يثبت تفوقه، مما شجع الشعراء على الإبداع.

3- انفتاح العقول المثقفة على شيء من المنطق والفلسفة، بعد توفر قسط من الحرية النسبية في هذا المجال، ومن أثر ذلك تعمقت النظرة إلى الظواهر الإنسانية، ومن بينها الشعر، والأدب بعامة.

4-الأثر المشرقي: فالقرن الخامس في الأندلس جاء بعد النهضة النقدية في المشرق على يد ابن طباطبا والآمدي والجرجاني، وقد وصلت كتبهم إلى أيدي الأندلسيين ففتحت أمامهم مجال الإبداع في الشعر[1].

رابعا- نماذج من الشعر الأندلسي:

1-ابن زيدون:

كان ابن زيدون حامل لواء الشعر في عصره، وهو من أسرة اشتهرت بالفقه، ونعمت بالثراء، فقد ولد بقرطبة سنة 394هـ، واهتم به أبوه منذ نعومة أظفاره، فأحضر له الأدباء المعلمين والفقهاء والمثقفين، ولم تلبث ملكته الشعرية أن تفجرت على لسانه ينبوعا عذبا، فعلاَ شأنه ولمع نجمه[2].

ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة اتصل بأبي وليد بن جهور أحد ملوك الطوائف، فحظي عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق، وحسامها المسلول، فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور، فاعتقله ومكث في محسبه مدة استشفع فيها بقصائد أبدعها، ورسائل استنفذ فيها جهده، فما ألانت له قلبا فأعمل

---

[1] - ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 472.

[2] - الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص439.

الحيلة في فراره من سجنه، وخلص إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية، إذ كان أشد ملوك الطوائف رغبة فيه، وأكثرهم تمسكاً بالأدباء، فألقى إليه مقاليد وزارته، وأصبح صاحب أمره ونهيه، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أبوه، وأغدق عليه بره ونعمته... ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة 463هـ[1].

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك، قال ابن زيدون يرثي المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها:

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهرُ * فمن شيم الأحرار في مثلها الصبرُ
ستصبر صبر اليأس أو صبر حسبة * فلا تؤثر الوجه الذي معــه الوِزر
حذارك من أن يعقب الرزءَ فتنـــــةٌ * يضيق بها عن مثل إيمانك العذر[2]

وقال في الغزل:

قل لمن دان بهجري * وهوانـــي إذ يديـــن
أرخص الحـب فؤادي* لك والعلــق ثميـــن
يا هلالا تتـــــــراءا * هُ نفــوس لا عيـون
ما الذي ضرك لو سُرَّ * بمـــرآك الحزيـــن
وتلطفت بصـــــــبّ * حيْنُه[3] فيــك يحيـن[4]

---

[1] – جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تح: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، 350/1.

[2] – نفح الطيب، 264/4.

[3] – الحيْن: الموت.

[4] – نفح الطيب، 279/3.

2-ابن هانئ الأندلسي:

هو أبو القاسم محمد بن هانئ، عربي الأصل، ولد بإشبيلية عام 316 للهجرة، ولما قال الشعر، قربه منه حاكم بلدته، غير أنه أكثر من الانهماك في الملاذ، وأظهر استهتارًا وزندقة، فنقم عليه أهل إشبيلية ذلك، وامتدت نقمتهم إلى الحاكم الذي يرعاه، فنصحه أن يبتعد عنهم مدة، فولى وجهه نحو المغرب، اتصل بالمعز لدين الله الفاطمي ومدحه، فبالغ في الإنعام عليه، وحين عاد ليحضر أولاده وأهله، قتل في الطريق سنة 362هـ[1].

اشتهر ابن هانئ بالمبالغة في المدح، وهو يقتدي بالمتنبي في عنايته في شعره بالغريب والقوافي الشاذة، فهو ينْظم على الثاء والخاء ونحوهما من الحروف الصعبة حتى يثبت تفوقه، وكان يحب التعابير الضخمة، حتى روى الرواة أن أبا العلاء كان إذا سمع شعره يقول: "ما أشبِّهه إلا برحىً تطحن قرونًا لأجل القعقعة التي في ألفاظه"، ويزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ[2].

ومن مبالغات ابن هانئ في مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قوله في إحدى قصائده:

ما شئت لا ماءت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار

فكأنما أنت النبي محمـــد * وكأنما أنصارك الأنصـــار

---

[1] – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 419.

[2] – وفيات الأعيان، 4/ 424.

أنت الذي كانت تبشرنا بـــه * في كتبها الأحبار و الأخبار

هذا إمام المتقين ومن بـــه * قد دوخ الطغيان و الكفـــار

هذا الذي ترجى النجاة بحبه * وبه يحطّ الإصـــر و الإزار

هذا الذي تجدي شفاعته غدا * حقًّا و تخمد إن تـــراه النار[1]

3- ابن خفاجة:

هو إبراهيم بن أبي الفتح عبد الله بن خفاجة الهواري الشقري الأندلسي، ولد بجزيرة (شقر)، وهي بلدة بين (شاطبة) و(بلنسية)، ولما نشأ انتقل إلى (بلنسية)، وقرأ العلم على شيوخها، ونظم الشعر، فكان في شعره طلاوة وسهولة، وقد برع في وصف الطبيعة والحنين إلى الوطن[2].

ومن درر قصائده، قصيدة (وصف الجبل):

وأرعن طماح الذؤابة بـــــاذخ * يطاول أعنان السمـــاء بغـارب[3]

يسد مهب الريح عن كل وجهه * ويزحم ليلاً شُهبـــه بالمنـــــاكب

وقور على ظهر الفلاة كأنـــه * طوال الليالي مفكر في العواقـــــب

---

[1] – ديوان ابن هانئ الأنداسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1400هـ، 1980م، ص146.

[2] – ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط4، 1983م، ص 497.

[3] – الأرعن: الجبل الشامخ، والغارب: الكاهل.

يلوث عليه الغيم سود عمائـــم * لـها من وميض البرق حمر ذوائب[1]

أصخت إليه وهو أخرس صامت * فحدثني ليل الســـرى بالعجــائب

وقال الأكم كنت ملجأ قاتـــــلٍ * وموطن أواه تبتـــــــــل تائــب[2]

وكم مر بي من مدلج ومـؤوب * وقال بظلّـــي من مطـــيٍّ وراكب[3]

فما كان إلا أن طوتهم يد الردى * وطارت بهم ريـــح النوى[4] والنوائب[5]

---

[1] – يلوث: يلف، والذوائب هنا: أعالي العمامة.

[2] – الأواه: العابد.

[3] – المدلج: السائر في الليل ومثله المؤوب. وقَالَ: استراح وقت القيلولة.

[4] - النوى: البعد، النوائب: المصائب.

[5] – الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص447.

للتطبيق:

قال ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي بعد أن حل الجفاء بينهما محل الصفاء:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحـــــنا * شوقا إليكـــم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائـــــرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لفقدكـــــــمُ أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضــا لياليا

إذ جانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتـــم لأرواحـــــنا إلا رياحينا

لا تحسبوا نأيكـــــم عنا يغيرنا * إن طـــال ما غير النأي المحبينا

والله ما طلبـــــت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصـــترفت عنكم أمانينا[1]

[1] – ديوان ابن زيدون ورسائله، تح: علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص141

المحاضرة الثالثة عشرة

الموشحات والأزجال

تمهيد:

ظهر فن الموشحات كنوع من أنواع الشعر العربى فى الأندلس فى أوائل القرن الثالث الهجرى، وسمي الموشح بهذا الاسم لشدة تنميقه وتزيينه، أما الزجل فهو الشعر العامي غير الفصيح ، وفي هذه المحاضرة تفصيل ذلك.

أولا-الموشحات:

1-الأصل اللغوي للموشحات:

الموشحات: جمع موشحة أو موشح، مأخوذ من الوشاح، يقال: "توشَّحت المرأة واتَّشحتْ"، أى: لبستْ (وشَاحها)، وهو شئ ينسج من أديم عريضا، ويرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقيها، وربما قالوا توشح الرجل بثوبه وبسيفه[1].

2-الموشحات اصطلاحاً:

فنّ مستحدث من فنون النظم الشعرى، يربطه بأصله اللغوى طلب الزينة والزخرف الجمالى والتأثير الشعورى كالوشاح، فالشاعر يبني أبيات قصيدته على بحرين مختلفين، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيما، وإذا أضاف إلى ذلك ما بني عليه شعره من القافية الأخرى، كان أيضاً شعرا مستقيما، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى كالوشاح[2].

3-نشأة الموشحات:

---

[1] – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، 1/ 415، 415.

[2] – الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 242.

نشأ هذا الفن فى الأندلس فى أواخر القرن الثالث الهجرى- التاسع الميلادى- استجابة وتفاعلا مع مجموعة من الأسباب والبواعث الفنية واللغوية والاجتماعية والمحلية، بعد أن ملّ بعض الشعراء الأندلسيين النظم على وتيرة واحدة، وتاقوا إلى التنويع والتجديد فاخترعوه، وظل هذا الفن يتطور على أيديهم حتى بلغ غاية نضجه وازدهاره، ثم انتقل إلى بلاد المشرق فعرفه شعراء مصر والشام، وشاركوا فى ممارسة إبداعه منذ القرن السادس الهجرى -الثانى عشر الميلادى- وإن غلب على المتأخرين منهم التكلف فى أدائه[1].

ونتيجة لقبوله للغناء واتصاله الوثيق به تمثَّلتْ أبرز خصائصه الفنية فيما يأتى:

1- اختلافه عن فنون النظم الأخرى بالتزامه نظاما خاصا فى التقفية، وبخروجه على وحدة الوزن الموروثة فى القصيدة العربية.

2 - خروجه على بحور الخليل أحيانا.

3 - خلوه من الوزن تماما فى بعض الأحيان اكتفاءً بالتلحين الموسيقى الذى قد يقوم عندهم مقام الوزن الشعرى.

4 - اختلافه عن غيره باستعماله اللغة الدارجة أو الأعجمية فى بعض أجزائه.

5 - تقسيمه إلى أجزاء اصطلاحية لا توجد فى غيره، وهى التى تشكل بناءه الموسيقى الجديد بعد أن تمَّ نضجه واكتمل استواؤه كما سيأتى[2].

---

[1] - موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، ص 637.

[2] - السابق، ص637.

4-بناء الموشح: لم تتضح معالم هذا البناء الموسيقى إلاّ بعد أن تجاوز هذا الفن الجديد مرحلتى نشأته وتطوره، ودخوله عصره الذهبى فى العهدين: المرابطىِّ ثم الموحدىِّ، حين انصرفت إلى نظمه جهود مجموعة من أعلام الشعراء فى القرنين السادس والسابع الهجريين- الثانى عشر والثالث عشر الميلادى- فى الأندلس من أمثال الأعمى التطيلى (ت520 هـ)، وابن بقىّ (ت540هـ)، وابن باجة (ت533هـ)، والشيخ محيى الدين بن عربى (ت 63هـ)، وغيرهم، ثم جاء ابن سناء الملك الشاعر والوشَّاح والناقد المصرى (ت608هـ)، فرصد لأول مرة معالم هذا البناء فى كتابه (دار الطراز فى عمل الموشحات) بصورته المكتملة الناضجة بالشكل الآتى:

أ- **المطلع:** وهو الجزء الأول من الموشحة، ويُقابل مطلع القصيدة، ووجوده ليس شرطا لازما، بل يُذكر المطلع فى الموشحة وتسمَّى حينئذ (بالموشحة التامَّة) وقد يحذف فيسمى الموشح حينئذ (الموشح الأقرع) وأقل أشطار أي أجزاء المطلع اثنان، ويمكن أن تصل إلى ثمانية أشطار تُكتبُ أفقية أو عمودية.

ب -الغصن: وهو الجزء الذى يعقب المطلع فى الموشح التام، ويبدأ به الموشح الأقرع، ويتكون من أشطر ثلاثة فأكثر، موحدة القافية فى الغصن الواحد، ويتكرر الغصن خمس مرات فى غالب الأمر (وتتنوع قافيته كلما تكرر) (ويلتزم وزنا واحدا فى الموشحة كلها).

ج -القفل: وهو الجزء الذى يتكرر فى الموشحة كلها متفقا مع المطلع (وزنا وقافية) وعدد أجزاء، ويتكرر ست مرات فى (الموشح التام) وخمس مرّات فى (الموشح الأقرع)، والمطلع فى كل موشح هو (القفل الأول) و (القفل الثانى) ما

يلى (الغصن الأول)، وهكذا تجد عقب كل غصن قفلا، ويلاحظ ضرورة الالتزام (بوحدة الوزن والقافية معا) فى جميع الأقفال.

د – الدُّور أو البيت: وهو فى أرجح الآراء مجموع كل غصن مع القفل الذى يليه، وقيل غير ذلك، وواضح الفرق بين (البيت) فى الموشحة بالمعنى المذكور والبيت فى القصيدة الذى يتكون من شطرين هما الصدر والعجز، تتكرر صورته من أول القصيدة إلى آخرها، وتتوالى أبيات الموشحة لتصل إلى خمسة أبيات غالبا، بينما لاحدّ لأكثر الأبيات فى القصيدة.

هـ–السِّمط: هو كل جزء أو شطر من أشطار الغصن، ولا يقل عددها فى كل غصن عن ثلاثة، وقد تزيد حسب رغبة الوشَّاح، وعددها فى الغصن الأول من الموشحة هو الذى يحدد عددها فى الأغصان الباقية، واشترطوا أن تكون أسماط كل غصن (موحدة القافية) فيما بينها، أما أسماط الأغصان الأخرى فلا يشترط فيها وحدة القافية مع سابقتها أو لاحقتها، هذا وقد يكون السمط مفردا أى من فقرة واحدة أو شطر واحد، وقد يكون مركبا من فقرتين أو أكثر[1]، وعدد فقرات السمط الأول هو الذى يحدد فقرات بقية الأسماط، كما أن قافية فقرات السمط الأول (يشترط توحيدها وتماثلها فى الأجزاء الداخلية فى كل سمط على حدة، وإلاّ عِيب الموشح وسقطت فنيّته)، وكما يطلق السمط على أجزاء الغصن، يطلق كذلك على أجزاء القفل وأشطاره.

[1] – نفسه، ص34.

و-الخرجة: وهى القفل الأخير من الموشح، وهى ركن أساسى فى بناء الموشحة، ولا يمكن الاستغناء عنها، بينما يمكن الاستغناء عن القفل الأول، وهو المطلع فى (الموشح الأقرع) ،والأفضل فى الخرجة أن تخالف لغتها لغة بقية الموشحة، لتتسع دائرة المتلقين لها من الطبقات الشعبية المختلفة، وذلك بأن تأتى عامية، أو أعجمية، أو فصيحة غير معْربة، كما يقدم لها بما يمهد لورودها، مثل: قالت وقلْتُ، وغنّى وغنَّيتُ، وأنشد وأنشدت، وتأتى على ألسنة صبيان أو نسوة...[1].

5-مثال الموشح التام:

المطلع:

ضاحك عن جمان * سافر عن بـــدرِ

ضاق عنه الزمــان * وحواه صـــــدري

الغصن:

الدُّور (سمط) آه مما أَجِدْ * شفنّي ما أَجْدُ

أو (سمط) قام بي وقعد * باطشٌ متُئدُ

البيت (سمط) كلّما قلت قدْ * قال لي أَين قدُ

القفل:

[1] – ينظر: دار الطراز في عمل الموشحات، ص 32، 33.

وانثنى خُوطَ بان ... ذا مهَزٍّ نَضْرِ ... عابثته يدان ... للصَّبا والقَطْرِ[1].

ثم يستمر الشاعر في أدواره أو أبياته إلى أن يصل إلى القفل الختامي وهو(الخرجة) التي يحسن أن تخالف لغتها لغة بقية الموشحة، وذلك بأن تأتى عامية، أو أعجمية، أو فصيحة غير معْربة، وهنا استعمل الشاعر العامية:

الخرجة قد رأيتكْ عِيَانْ * آش عليك ساتدري

سايطول الزمانْ * وتجرِّب غيـــري

6-مثال الموشح الأقرع:

المطلع: غير موجود

غصن:

سطوة الحبيـــــــــب * لأحلى من جَنَى النحل

وعلى الكئـيـــــــب * أن يخضـــــــع للذل

أنا في حُـــــــروب * مع الحـــــدق النُّجل[2]

قفل:

ليس لي يدان * بأحْور فتـــان

من رأى جفونه * فقد أَفسدت دينه

غصن:

---

[1] – دار الطراز في عمل الموشحات، ص57.

[2] – النجل: جمع الأنجل، وهو الواسع.

ينبغي التجنّـــــي* لمثلك فـــــي الإنس
لو قبلتَ منـــــــي * لتهتَ على الشمس
غايةَ التمنّـــــــي * هلمَّ إلـــــى الأنُس

قفل:

أنت مهرجاني* وخدك بستاني

غَطِّ ياسمِينَه * إن الناس يَجنونَه[1]

وهكذا فإن كل موشح يتركب من وحدتين تتكرران عددا من المرّات، وحدة يبدأ بها الموشح في العادة وتسمى (قفلا)، فإذا لم يبدأ بها، وبدأ بالوحدة الثانية، سمي الموشح (أقرع)، وهذه الوحدة الثانية تسمى (غصنا)، ويتكون الموشح النموذجي في العادة من ستة أقفال، تحصر بينها خمسة أغصان، ولكن الوشّاح غير ملزم بذلك، فبإمكانه أن يزيد أو ينقص، واجتماع القفل والغصن التالي له يسمى (دورا)، وبعضهم يسميه (بيتا)، فالموشح النموذجي –على هذا الأساس– وهو يتكون من خمس أدوار أو أبيات، وقفل ختامي يدعونه (الخرجة)، ولكن الأقرع يشذ عن ذلك، لأن أحد أقفاله ساقط[2].

ثانيا– الزجل:

1–مفهومه لغة:

يستعرض الزبيدي[3] معاني كلمة الزجل، فيقول: "والزجَل: اللعب والجلَبة"، وخص به (التطريب) وأنشد سيبويه:

---

[1] – نفسه، ص59.

[2] – تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 235.

[3] – تاج العروس من جواهر القاموس، 116/29.

له زجل كأنه صوت حاد * إذا طلب الوسيقة[1] أو زمير[2]

والزجل أيضا: رَفْع الصّوت الطَّرِب؛ وَفِي حديث الْمَلَائكة: "لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ"، أَي صوتٌ رَفِيعٌ عالٍ، وسَحاب ذُو زَجَل، أي ذُو رَعْد[3].

2- اصطلاحا:

هو ضرب من الشعر العامي غير الفصيح، اختُرع بالأندلس، بعد أن نضجت الموشحات وتداولها الناس بكثرة، وحركت نفوس العامة، فنسجوا على منوال الموشح بلغتهم الحضرية، وقد كثرت أوزانه حتى قيل: "صاحب ألف وزن ليس بزجّال". وقد أبدع فيه ابن قزمان (ت 555هـ)، وهو إمام الزجّالين على الإطلاق[4].

قال ابن خلدون: "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة"[5].

3-نشأة الزجل:

لقد كانت الحاجة إلى الغناء لدى الناس هي السبب المباشر في نشأة الزجل، بالإضافة إلى التأثر بالأغنيات الشعبية الأعجمية الشائعة يومئذ في الأندلس،

---

[1] – الوسيقة: من الإبل والحمير: كالرفقة من الناس.

[2] – الزمير: صوت المزمار.

[3] – لسان العرب، 11/ 302.

[4] – أهدى سبيل إلى علمي الخليل، محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، 2002م، ص113.

[5] – تاريخ ابن خلدون، 817/1 .

فالزجل في بدايته أغنية شعبية، لم تبدأ إلا حين تم ازدواج اللغة العربية في الأندلس لانقسامها بين لهجة دارجة وأخرى مكتوبة.

وقد يكون التساؤل عن مخترع الموشح أمراً معقولا، أما التساؤل عن مخترع الزجل فانه من قبيل الجهد الضائع، لأن الأغنية الشعبية تظل في العادة جهد (جنود مجهولين)، ولا بد أنه مضى وقت غير قصير قبل أن ينتقل هذا اللون من الشعبية الخالصة إلى يد الفرد الزجال الذي يمنحه قوة من شخصيته وتفننه، ولذلك لم نجد نماذج مبكرة من الزجل إلا في منتصف القرن الخامس، عندما نشأت طبقة الزجالين التي خلفها ابن قزمان، ومنهم يخلف بن راشد وغيره[1].

وعلى هذا يمكن أن نرسم خطا لتطور الزجل يبدأ بالأغنية الشعبية المجهولة المؤلف، ثم بفترة الزجالين الذين جاءوا قبل ابن قزمان مباشرة، وسماهم في مقدمة ديوانه (المتقدمين)، وقد اتهمهم ابن قزمان بالتقصير في ميدانهم، ولكن اكبر تهمة وجهها إليهم هي ميلهم إلى الإعراب، وميّز من بينهم أخطل بن نمارة[2].

وأول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد وأبياتا محررة في أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالشعر، لا يختلف عنه إلا اللحن واللفظ العامي، وسموها القصائد الزجلية، فمن ذلك قصيدة للشيخ أبي عبد الله مدغليس في بحر الرمل عدتها ثلاثون بيتاً مطلعها:

الهوى حمّلني ما لا يحتمـــــــل * ترِد الحق ليس لمن يهوى عقل

---

[1] – بلوغ الأمل في فن الزجل، ص13.

[2] – تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص257، 258.

ليس نقع في مثلها ما دمت حيّ * إن حماني من ذا تأخير الأجل[1]

ولما كثرت هذه القصائد واختلفت، عدلوا عن الوزن الواحد العربي إلى تفريع الأوزان المتنوعة، وترتيب الأغصان بعد المطالع، والخرجات بعد الأغصان إلى أن صار فناً خاصا[2].

[1] – بلوغ الأمل في فن الزجل، ص 12.

[2] – نفسه، ص 13

للتطبيق:

1-الموشح الأقرع:

قال الْأَعْمَى التُّطِيليّ

سطوة الحبيب * لأحلا من جَنَى النحل

وعلى الكئيب * أن يخضـــــــــع للذل

أنا في حُـروب * مع الحدق النُّجـــــل

ليس لي يـــدان * بأحور فتـــــان

من رأى جفونه * فقد أَفسدت دينه

ينبغي التجنّـــي * لمثلك في الإنس

لو قبلتَ منـــي * لتهتَ على الشمس

غايةَ التمنّـــــي * هلم إلى الأنُس

أنت مهرجاني * وخدك بستاني

غَطِّ ياسمِينَه * إن الناس يَجنونَه

خطط الوزيـــر * بخُطـه إيثارِ

فانتهى السرور * إلى غير مقار

رُدّت الأمـــور * إلى أسد ضار

ثابت الجنان * صفوح عن الجاني

قد حمى عرينه* بالزرق المسنونه

خل كل مين * إلى الحـــــق منقادًا

من رأى بعين* في ذا الخلق من سادًّا

كأبي الحسين * ويفديـــــــه من جادا

كل ذي امتنان * لا بل كل هتان

رام أن يكونه* جودًا فأتى دونه

أظهر المقام * في الغربة حرمانًا

فأنـــا آلام * إسرارًا وإعلانًا

قلت والكلام * يصرح إحيانًا

فزت بالأماني * ما جاد بإحسان

صاحب المدينة* أعلى الله تمكينه[1]

[1] – دار الطراز في عمل الموشحات، ص60.

2- الزجل:

قال ابن قزمان:

ظهرت سنة محـــمد * وانصقل مرّا الإســـــلام

رجع ابن الحاج قاضي * أدام الله ذا الأيـــــــام

وصل المظلوم لحـــق * وانتصف غني ومسكيـــن

يحضر الإنكار والإقرار * ويقع الفصل في الحيــن

اجتمع فيـــه الثــلاثا * الورع والعلـــــم والديــن

فيزل الحـــــق إذ زال * ويدوم الحـــــق إذا دام[1]

[1] – تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص272، 273.

المحاضرة الرابعة عشرة

نصوص من الشعر الجزائري القديم

تمهيد:

لقد استمرت أعمال فتح بلاد المغرب نحو سبعين سنة، ابتداء من سنة (21هـ - 642م)، إلى سنة (90هـ - 709م)... وبناء على ذلك تكون الجزائر قد فتحت خلال هذه الفترة على يد عقبة بن نافع، ثم استمر فتح المغرب على يد القائد موسى بن نصير[1].

وقد كانت الجزائر قديما تسمى المغرب الأوسط؛ وهي جزء من المغرب العربي، الذي كان يشمل الأندلس والشمال الإفريقي المجزأ إلى ثلاثة مغارب: الأقصى، والأوسط (تلمسان)، والأدنى(بجاية وقسنطينة، وتونس)[2].

والتاريخ يخبرنا أن المغرب الأوسط لم يعرف الاستقرار، فقد عاش تجاذبات كثيرة، ودخل تحت ولاء دول متعددة، كما سيتضح ذلك فيما يلي.

أولا- حقبة المد والجزر للجزائر بين تونس ومراكش:

لقد كانت أول عاصمة للمغرب عموما بعد الفتح هي مدينة القيروان، ثم خلفتها مدينة تونس في العشر الأول من القرن الثاني، ثم نشأت عاصمة أخرى

---

[1]- فتاوى الشبكة الإسلامية، تم نسخه من الإنترنت: في1 ذو الحجة 1430هـ،18 نوفمبر، 2009 م، رقم الفتوى: 8893.

[2]- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي الطَّرَسوسي، تح: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط2، ص9.

وهي مدينة فاس... لذلك كان اتجاه العصبيات التي تقيم الدول وتقعدها موصولا دائمًا إلى هاتين العاصمتين التاريخيتين.

ولهذا السبب كان القطر الجزائري، (وهو المغرب الأوسط) في أغلب عهوده موزّعًا بين مراكش وبين تونس، فكان قسمه الغربي جزءًا من مملكة مراكش، في أيام المرابطين، وفي أيام الموحّدين، وفي بعض أيام المرينيين، وقد تقْوى بعض هذه الدول التي ذكرناها فتضمّ القطر الجزائري كله أو معظمه إلى مراكش، وقد تضم معه تونس، كما وقع في أيام يوسف بن تاشفين، مؤسس دولة المرابطين، وفي أيام عبد المؤمن بن علي مؤسّس الدولة الموحّدية.

وكان القسم الشرقي من الجزائر يتبع في بعض الفترات التاريخية المملكة التونسية، كما وقع في عهد الأغالبة، وفي صدر الدولة الفاطمية، ثم في أيام الدولة الحفصية...[1].

ثانيا–الدول التي قامت بالجزائر في العهد القديم:

لقد قامت بالجزائر في ذلك العهد عدد من الدول أهمها:

1–الدولة الرستمية:

نشأت هذه الدولة عام 144هـ، وانقرضت عام 296هـ، فكان عمرها 150 عامًا، وهي أول دولة جزائرية قامت في صميم القطر الجزائري من أهله، بالمعنى الجغرافي العصري للجزائر[2].

---

[1] – ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، 105/5.

[2] – نفسه، 106/5.

2-الدولة الصنهاجية:

وهذه الدولة أيضا جزائرية صميمة، نشأت عام 324هـ، وانقرضت عام 547هـ على يد الموحدين، ومؤسّسها زيري بن مناد الصنهاجي، أحد فروع الأسرة الباديسية الصنهاجية التي استخلفها الفاطميون على مملكة القيروان حينما فتحوا مصر، ونقلوا كرسي خلافتهم إليها، ثم استقل الباديسيون بعد ذلك بالقيروان، عندما آنسوا ضعف الدولة الفاطمية في الشرق[1].

3-الدولة الفاطمية:

وهي الدولة التي أسسها عبد الله المهدي، أول الخلفاء الفاطميين في الجزائر، عام 297هـ، وقد انتقلت بعد ذلك إلى القيروان والمهدية، وبسطت سلطانها لأول نشأتها على القسم الشرقي من القطر الجزائري، (مقاطعة قسنطينة)[2].

4-الدولة الزيانية بتلمسان:

وهذه الدولة أيضًا نشأت في صميم الجزائر، ومن أوسط قبائل زناتة نسبا، وهم بنو عبد الواد، وكانت قاعدة مملكتهم مدينة تلمسان، وكان ابتداء هذه الدولة عام 633هـ، وانقراضها عام 957هـ، باستيلاء الأتراك عليها، وانتظمت هذه الدولة النصف الغربي من الجزائر الحديثة، وانتهت حدودها في بعض الفترات إلى

[1] – نفسه، 107/5.

[2] – نفسه، 109/5.

مدينة الجزائر، واستشرف بعض ملوكهم إلى انتزاع بجاية من يد الحفصيين ملوك تونس، وهذا أعظم توسّع لهذه الدولة[1].

ولم تلقَ دولة من الدول المغربية من المحن والحروب ما لقيته هذه الدولة (الجزائر)، ولم تلق مدينة من المدن المغربية ما لقيته تلمسان في أيام بني زيان من تكرّر الحصار ومعاناة بلائه، ولم تعرف الأسر التي طلبت الملك بالمغرب من بأس الحروب والكرّ والفرّ وتعاقب الجلاء عن دار الملك ثم استرجاعها بالسيف مثل ما عرف ملوك بني زيان، وكان ذلك كله مع دولة الموحّدين ودولة المرينيين، وكان سبب هذا الصراع كله هي مدينة تلمسان، ومع كثرة المحن والحروب المثيرة التي كانت تدور حول هذه المدينة، إلا أنها كانت لا تزيد إلا عمرانا وحضارة، وإنجابا للأبطال والعلماء، ولا توجد مدينة في المغارب الثلاثة ولدت من أئمة الدين والأدب والعلم بجميع أنواعه مثل ما ولدت تلمسان، لا تفوقها في هذا إلا أمصار الأندلس، ومن العجيب أن العصر الزياني المضطرب المتقلّب في الحرب هو أزهر عصورها في العلوم والفنون وازدهار الحضارة، ففي هذا العصر نبغ أبو عبد الله بن خميس، شاعر العروبة في المائة السابعة، وفيه نبغ الحافظ الخطيب ابن مرزوق الأكبر، عالم الدنيا وخطيبها وابنه وحفيده، وفيه نبغ أبو سعيد المقري جد صاحب "نفح الطيب"، وفيه نبغ أبو عبد الله الشريف التلمساني وسعيد العقباني وقاسم العقباني، وغيرهم ممن لا يعدون كثرة[2].

---

[1] – السابق، 110/5.

[2] – نفسه، 110/5.

ثالثا–نماذج من الشعر الجزائري القديم:

لقد أنجبت الجزائر قديما عددا معتبرا من الشعراء، نظموا في أغراض شتّى وطرقوا موضوعاتٍ مختلفة، وإذا كان تقليد المشارقة واضحا في شعرهم، إلا أنهم استطاعوا التعبير عن جوانب من حياة مجتمعهم، كما عبّروا عن كثير من قِيَمه ومُثُله.

و من أبرز الشّعراء الجزائريّين في الأدب القديم: بكر بن حمّاد التاهرتيّ ، وابن رشيق القيرواني، وابن الفكون القسنطينيّ، وابن خميس التّلمسانيّ، وغيرهم، وسنورد تعريفا مختصرا بهؤلاء الشعراء ونماذج من شعرهم .

1–بكر بن حماد التاهرتي:

هو بكر بن حماد التاهرتي، التاهرتي نسبة الى مدينة تيهرت أو " تاهرت" وتسمى اليوم تيارت و هي إحدى ولايات الغرب الجزائري، ولد سنة 200هـ بمدينة تيهرت في بيت شرف وعلم، رحل في طلب العلم إلى القيروان والمشرق، ثم عاد إلى القيروان، ومنها إلى تيهرت، وبها توفي سنة 296هـ[1].

وقد وصفه العجلي في كتابه (معرفة الثقاة)، بأنه: "من أئمة أصحاب الحديث"[2]

---

[1] – الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، 1385هـ، 1966م، ص43.

[2] – معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة ،ط1، 1405، 1985، 254/2.

وقال عنه ياقوت الحموي: "كان بتاهرت من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين"[1].

نماذج من شعره:

أ- يقول بكر بن حماد التاهرتي في أحمد بن سفيان حاكم الزاب و طرابلس:

وقائلة: زار الملوك فلـــــم يفد * فياليته زار ابن سفيـــــان أحمدا

فتى يُسخط المالَ الذي هو ربه * ويرضى العوالي والحسام المهندا[2]

ب-وقال يرثي علي بن أبي طالب، ويشنع بابن ملجم قاتله:

وهزَّ عليٌّ بالعراقينِ لحيـــــــةً * مُصيبتُها جلَّت على كلِّ مُســـلمِ

وقالَ سيأتيهـــا من الله حـــادثٌ * ويخضبُها أشقى البريَّة بالـــــدَّمِ

فيا ضربةً من خاسرٍ ضلَّ سعيُهُ * تبوَّأ منها مقعداً في جهنَّـــــمِ[3]

ج- وقال أيضا:

غفلت وحادي الموت في أثري يحدو * فإن لـــم أرح ميتاً فلا بدَّ أن أغـدو

أرى عمري ولَّى ولم أترك المنـــى * وليس معي زاد وفي سفـــري بعدُ

أنعِّم جسمي باللِّباس ولينـــــــــه * وليس لجسمي من قميص البلى بدُّ!

كأنِّي به قد مدَّ في برزخ البلـــــى * ومن فوقه ترب ومن تحتـــــه لحدُ

---

[1] – معجم البلدان، 8/2.

[2] – الحلة السيراء، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، 183/1.

[3] – الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب،أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م، 793/2.

وقد ذهبت تلك المحاسن وامَّحـــت * فلم يبق فوق العظم لحـــــم ولا جلدُ

عسى: غافر الزَّلاَّت يغفر زلَّتـــــي * فقد يغفر المولى إذا أذنـــــب العبدُ

أنا الفرد عند الموت والفرد في البلى * وأبعث فرداً فارحـــــــم الفرديا فردُ[1]

2- ابن الفكون القسنطينيّ:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، ولد في قسنطينة سنة 988هـ/1500م، تعلم على يد والده محمد الفكون وغيره من علماء منطقته، وقد كانت له رحلات كثيرة؛ قال عنه المقري في نفح الطيب: "عالم قسنطينة و صالحها و كبيرها و مفتيها، سلالة العلماء الأكابر، وإرث المجد كابرا عن كابر، المؤلف العلامة الشيخ سيدي عبد الكريم الفكون حفظه الله"[2]، وله قصيدة مشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش كتب بها إلى رجل يسمى أبا البدر بن فردقيس ، وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسمطينة إلى مراكش وأولها:

أَلاَ قُلْ لِلسَّرِيِّ بْنِ السَّرِيِّ * أَبِي الْبَدْرِ الْجَوَادِ الْأَرْيَحِيِّ

ومنها

وُكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا * سِوَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو غَيْرِ شَيِّ

فَلَمَّا جِئْتَ بُبْلَةَ خَيْرَ دَارٍ * أَمَالَتْنِـــي بِكُـــلِّ رِشًا أَبِـــيِّ

---

[1] – نفسه، 1432/2.

[2] – نفح الطيب، 2/ 480.

وَكَمْ أَوَرَتْ ظِبَاءُ بَنِي وَرَارٍ * أُوَارَ الشَّوْقِ بِالرِّيقِ الشَّهِـــيِّ

وَجِئْتَ بِجَايَةً فَجَلَتْ بدُورٌ * يَضِيقُ بِوَصْفِهَا حَرْفُ الرَّوِيِّ

وَفِي أَرْضِ الْجَزَائِرِ هَامَ قَلْبِي * بِمَعْسُولِ الْمَرَاشِفِ كَوْثَرِيِّ

وَفِي مَلْيَانَةٍ قَدْ ذُبْتُ شَوْقًـــا * بِلِينِ الْعَطْفِ وَالْقَلْبِ الْقَسِيِّ

وَفِي تُنْسٍ نَسِيتُ جَمِيلَ صَبْـرِي * وَهِمْتُ بِكُـــلِّ ذِي وَجْهٍ رَضِيِّ

وَفِي مَازُونَةٍ مَا زِلْتُ صَبًّا * بِوَسْنَانِ الْمَحَاجِرِ لَوْذَعِيِّ[1]

وَفِي وَهْرَانَ قَدْ أَمْسَيْـتُ رَهْنًا * لِظَامِي الْخَصْرِ ذِي رِدْفٍ رَوِيِّ

وَأَبْدَتْ لِي تِلَمْسَـانٌ بُدُورًا * جَلَبْنَ الشَّوْقَ لِلْقَلْبِ الْخَلِيِّ[2]

3- أبو عبد الله محمّد بن خميس(ت708هـ):

هو الشاعر أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر الحمْيري المعروف بابن خميس التلمساني، ولد بتلمسان سنة 645هـ وقيل سنة 650هـ، ودرس على علمائها، ثم رحل إلى سبتة ومدح حاكمها وتفرغ للتدريس فيها، ثم انتقل إلى غرناطة، وتصدر للإقراء.

يعتبر ابن خميس شاعرا كبيراً، ملماً بالأدب واللغة وأصول الفقه والمذاهب والحكمة والمنطق والطب، اشتهر بشعره الذي يحتوي على دعابة ونزعة دينية

[1]- اللوذعي: الذكيّ حديد النفس.

[2] - نفح الطيب، 483/2.

تصوفية، قال عنه ابن الخطيب بأنه " كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا وانقباضا وبأوا وهمة حسن الشيبة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع بعيدا عن الرياء عاملا على السياحة والعزلة عارفا بالمعارف القديمة... وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء يصرف العويص، ويرتكب مستعصيات القوافي، ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة الخوافي، حافظا لأشعار العرب وأخبارها، وله مشاركة في العقليات، وقعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة "[1]. قتل ابن خميس عام 708هـ[2]

نماذج من شعره:

أ-قال في التوبة:

أَنَبْتُ ولكن بعد طول عتـــــــاب * وفرط لجاجٍ ضـــاع فيه شبابي

وهيهات من بعد الشباب وشرخــه[3] * يلذ طعامي أو يســـوغ شرابـي

ولكنها الدنيا تكر علـــى الفتـــى * وإن كان منها في أعز نصابِ

وعادتها ألا توســط عندهـــــا * فإما سماء أو تخـــوم ترابِ

فلا تــرجُ من دنياك وداً وإن يكــن* فما هو إلاّ مثل ظـــل سحابِ

فكم عطلت من أربُــع وملاعــبٍ * وكم فرحت من أسـرةٍ وصحابِ

---

[1] – نفح الطيب، 5/ 359، 360.

[2] – ينظر: الأعلام للزركلي، 314/6.

[3] – شَرْخُ الأَمرِ: أَوّلُه.

وكم عفرت من حاســـر ومدجـــج * وكم أثكلت من معصـــر وكعابِ

وما أسفي إلاّ شبـــاب خلعتـــــــه * وشيب أبى إلاّ نصول خضابِ[1]

ب- ومن شعره في حب تلمسان بعد مفارقته إياها:

تلمسان لو أنَّ الزمان بها يسـخو * منى النفس لا دار السلام ولا الكرخُ

وعهدي بها والعمر في عنفوانـــه * وماء شبابـــــــي لا أجين ولا مطخُ

معاهد أنس عطلت فكأنـــــــــها * ظواهر ألفاظٍ تعمـــــــــدها النسخُ

مضوا ومضى ذاك الزمان وأنســـه * ومر الصبا والمال والأهل والبـــذخ

كأنهم لم يكن يوما لأقلامهم بهـــا * صرير ولم يسمع لأكعابهـــم جبخ

ولا في محيا الشمس من هديهم سنى * ولا في جبين البـدر من طيهم ضمخ

ولكننا نعمى مرار عن الهـــــــدى * ونصلـــــج حتـــى ما لآذاننا صمـخ

وما لامري عما قضى الله مزحـــل * ولا لقضـــــــــاء الله نقض ولا نسخ[2]

3- أبو علي حسن بن رشيق:

كان ابن رشيق شاعرا أديبا، نحويا لغويا حاذقا عروضيا، كثير التصنيف، حسن التأليف، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات، وصنف في الرد عليه عدة تصانيف، كان أبوه رشيق رومياً.

---

[1] – أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، 317/2، 319.

[2] – نفسه، 323/2، 328.

تأدب على أبي عبد الله بن جعفر القزاز القيرواني النحوي اللغوي، وغيره من أهل القيروان. ومات بها سنة ست وخمسين وأربعمائة، عن ست وستين سنة، وهو مؤلف كتاب (العمدة) وغيرها[1].

أ- كان ابن رشيق رجلا كثير الدعابة، غير أنه لم يذمه أحد بذلك ولا عابة، كتب إلى بعض الرؤساء:

إنّي لقيتُ مشقَّـــهْ * فابعث إلى بشُقَّه

كمثل وجْهِكَ حُسنا * ومثل دِينَيِ رِقَّــه

فقل له الرئيس: أما مثل دينك رقة، فلا يوجد إلا بوزن أمثال رمال الرقة؛ ثم استحسن في هذه المداعبة أدبه، فقضى أربه[2].

ب-ومن قوله في مدح السلطان أبي يحيى تميم بن المعز:

أصَحُّ وأقْوى ما رويناَه في النَّدَى * من الخبــرِ المأثـــور منذُ قديمِ

أحاديثُ تُمليها السّيولُ عن الحَيا * عن البَحر عن جُودِ الأمير تمِيم

ج- وله أيضاً:

لو أورقتْ من دَم الأبطال سُمْرُ قناً * لأوْرَقَت عنده سُمْـــر القَنَا الذُّبُلِ

إذا توجَّه في أولى كتائبـــــــــه * لم تفْرِق العينُ بين السّهل والجبلِ

---

[1] – معجم الأدباء، 2/ 861، والروض المعطار في خبر الأقطار، ص 521.

[2] – ينظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، عمر بن حسن بن دحية، ص 57، 58.

فالجيش يَنْفُض حولَيه أسنَّتَـــــــه * نفْضَ العُقاب جَنَاحَيـها من البَلَلِ[1]

5-أبو عبد الله الجذامي:

هو ابن شرف القيرواني محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني أبو عبد الله الجذامي، أحد فحول الشعراء في بلاد المغرب، وله تصانيف منها: أبكار الأفكار وهو كتاب حسن في الأدب يشتمل على نظم ونثر من كلامه، وتوفي سنة ستين وأربع مائة أو فيما قبلها[2].

قال الجذامي: أمرني السلطان المعز بن باديس وأمر الحسن بن رشيق في وقت واحد أن نعمل شعرا في الموز على قافية الغين، فصنعنا للوقت، ولم يقف أحدنا على صنعة الآخر، فقلت:

يا حبَّذا الموزُ وإسعــادُه * من قبل أن يَمضُغَه الماضغُ
لانَ إلى أن لا مَجَسّ له * فالفـــــــــتمُ ملآنٌ به فارغُ
سيّانِ قُلنا مأكــلٌ طيّبٌ * فيه وإلا مشـــــــربٌ سائغُ

وقال ابن رشيق:

موزٌ سريـــــــــع سوغُه * من قبل مضغِ الماضغِ
مأكَلـــــــــة لآكـــــل * ومشربٌ لسائـــــــــغِ
فالفُم من ليـــــــــن به * ملآنُ مثلُ فـــــــــارغِ[3]

---

[1] – وفيات الأعيان، ابن خلكان، 87/2.

[2] – الوافي بالوفيات، 3/ 82.

[3] – المطرب من أشعار أهل المغرب، ص67.

للتطبيق:

من شعر بكر بن حماد التاهرتي، وهو يرد على عمران بن حطان الخارجي حين مدح ابن ملجم بعد قتله عليا رضي الله عنه بقوله:

لله درّ المرادي الذي سفكـــت * كفّاه مهجة شـــرّ الخلق إنســـانا

أمسى عشيّة غشّاه بضربتـــه * ممّا جناه من الآثـــام عريانـــا

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بهـا * إلا ليبلـغ من ذي العرش رضـــوانا

إنّي لأذكره حيناً فأحسبـــــه * أوفى البريّـــة عنـــــد الله ميزانا

فقال بكر بن حماد التاهرتي معارضاً له:

قل لابن ملجم والأقدار غالبـــةٌ * هدمت ويحك للإســـــلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدمٍ * وأوّل الناس إســـــــلاماً وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثـــــم بما * سنّ الرسول لنا شـــــرعاً وتبيانا

صهر النبيّ ومولاه وناصـــــره * أضحت مناقبه نـــــوراً وبرهانا

وكان منه على رغم الحســـود له * مكان هارون من موسى بن عمران

وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً * ليس إذا لقي الأقـــــران أقرانا

ذكرت قاتله والدمع منحـــــدرٌ * فقلت : سبحـان ربّ الناس سبحانا

إنّي لأحسبه ما كان من بشـــرٍ * يخشى المعاد ولكـــن كان شيطانا

أشقى مرادٍ إذا عدّت قبائلـــــــــها * وأخسر الناس عنـــــد الله ميزانا

كعاقر الناقة الأولـــــى التي جلبت * على ثمود بأرض الحجــر خسرانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبــها * قبل المنيّة أزمـــــاناً فأزمانـــــا

فلا عفا الله عنـــه ما تحمّلـــــــه * ولا سقى قبل عمـــران بن حطّانا

لقوله في شقيٍ ظــلّ مجتـــــرماً * ونال ما ناله ظلماً وعـــــــدوانا:

"يا ضربةً من تقـــــيٍّ ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضــوانا"

بل ضربةٌ من غويٍّ أوردتـــه لظىً * فسوف يلقى بها الرحمن غضــبانا

كأنّه لم يرد قصداً بضربتـــــــــه * إلا ليصلى عذاب الخلـــد نيرانا[1]

[1] – نهاية الأرب في فنون الأدب، 132/20.

الفهرس:

مقدمة 2

1.الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا.....4

2.المعلقات مضامينها وأساليبها.....16

3. الصعاليك شعرهم وشعراؤهم.....30

4.الشعر في صدر الإسلام.....40

5.المراثي النبوية.....50

6.شعر النقائض..... 58

7.الشعر العذري والشعر العمري.....67

8.شعر الزهد والتصوف..... 77

9.شعر الحماسة..... 86

10.الشعر السياسي في المشرق والمغرب.....95

11. شعر الحكمة والشعر الفلسفي.....110

12. الشعر الأندلسي.....125

13. الموشحات والأزجال.....135

14. نصوص من الشعر الجزائري القديم.....147